جامعة الشهيد حمه لخضر – الـوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة بعنوان

المذهب الظاهري في بلاد الغرب الإسلامي بين القرنين (4-7هـ/ 10-13م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث

إعداد الطالبة: **إشراف الدكتور:**

– سهام غريسي علوي البشير غانية

أعضاء لجنة المناقشة:

لااستاذ	الصفة	الجامعة
د. علال بن عمر	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
د. البشير غانية	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
أ. عبد الحميد العابد	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

السنة الجامعية: 1438-1439هـ / 2017-2018م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

شكر وعرفان

قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾

فالحمد لله الذي وفقني وأعانني على إنجاز هذا العمل فأحمده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه والحمد والثناء والشكر للذي هداني وأنار لي طريقي وأمدني بالصبر والعزم لإتمام هذا العمل.

وإنه لشرف لي أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان إلى أستاذي الفاضل **الدكتور البشير غانية** لإشرافه على مذكرتي والذي أحاطني بكل عناية واهتمام وتوجيه لتظهر بأبهى صورة، فجزاه الله عنا كل الخير.

كما نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الكبير لكل أساتذة قسم العلوم الإنسانية بجامعة الوادي وبالأخص الأساتذة الذين أمدوا لي يد العون لإنجاز عملي هذا، وأخص بالذكر الأستاذ محمد حناي، الأستاذ علال بن عمر، والأستاذ عقبة السعيد، والأستاذ حسن بن ثنينة.

كما أتقدم بفائق عبارات التقدير إلى أساتذة وموظفي متوسطة الأمير عبد القادر وعلى رأسهم السيد المدير بوبكر مصطفاوي.

وفي الأخير نشكر كل من قدم لي يد العون من قريب أو من بعيد، خاصة أخواتي حميدة وليلى ورواء.

الطالبة سهام

ا ع: اعتناء

ت: توفي

تح: تحقيق

تر: ترجمة

تع: تعليق

تق: تقديم

ج: جزء

د.د.ن: دون دار نشر

د.س.ط: دون سنة طبعة

د ط: دون طبعة

د.م.ن: دون مكان نشر

ص: صفحة

ط: طبعة

م: ميلادي

مج: مجلد:

هـ: هجري

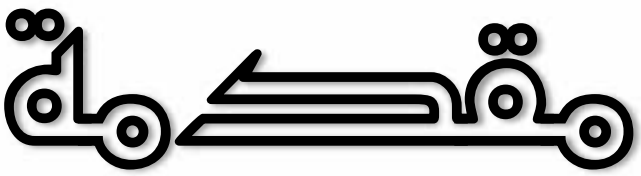

عرف العالم الإسلامي نهضة علمية وفكرية خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى وشملت هذه النهضة مختلف العلوم والفنون، خاصة الشرعية منها، ويعدُ الفقه أحد أهم هذه العلوم خلال تلك الفترة، فهو يعتبر العنصر الأساسي في تفكير المسلمين، وكانت النصوص من كتاب الله وسنة رسوله المصدر الأول له، وبما أن الشريعة الاسلامية دين فلا بد أن يكون للعقل دور في استنباط الأحكام العقلية، وهنا ظهر خلاف بين الفقهاء، فقهاء اقتصروا على المقايسة بين أحكام النصوص، وهناك من حكَم العقل، في حين هناك من اخذ بالقياس، وأخذ معه بالمقاصد العامة للشريعة، وهذا كله ترتب عليه ظهور مذاهب فقهية، والتي اعتبرت مدارس علمية في فهم النصوص الشرعية، وفي استنباط الاحكام الفقهية التي يحتاجها المسلمون في حياتهم. وتعود نشأة المذاهب الفقهية لاختلاف الآراء بين العلماء في مختلف الأمصار الإسلامية، لذلك تشكلت مدرستا أهل الرأي ومدرسة أهل الحديث، وعن هاتين المدرستين انبثقت مذاهب فقهيه متعددة، من أشهرها: المذهب الحنفي، المالكي، الشافعي والحنبلي. ومذاهب أخرى اندثرت وضلت آثارها في بطون الكتب كمذهب سفيان الثوري، ومذهب الأوزاعي، ومذهب داود الظاهري...

وبما أن منطقة الغرب الإسلامي جزء من العالم الإسلامي. لذلك عرفت هي الاخرى هذه النهضة العلمية والفكرية، وبالتالي شهدت انتشار هذه المذاهب، والتي حرص أتباعها على وصول أفكارهم لمختلف أقطار العالم الإسلامي، وأصبحت أرضا خصبة لنصرة كل مذهب نشأ بالمشرق. ومن بين المذاهب التي وصلت لبلاد المغرب المذهب الظاهري، الذي عرف حياة جديدة بالمغرب فكريا وسياسيا. وهو الموضوع الذي سأعالجه في مذكرتي هاته والموسومة بـ:

"المذهب الظاهري في بلاد الغرب الإسلامي يبن القرنين (4-7هـ/ 10 - 13 م)"

أسباب اختيار الموضوع:

أما عن أسباب اختياري لهذا الموضوع فكانت لعدَة اعتبارات أهمها:

- الرغبة في دراسة تاريخ المغرب في العصر الوسيط، ومعرفة تاريخ أسلافنا باعتبارنا جزء لا يتجزأ من هذه المنطقة. و الإجابة على سؤال كان يفرض نفسه عليَ، وهو لماذا كانت بلاد المغرب الإسلامي أرضا خصبة لاحتضان كل هذه المذاهب؟
- معرفة شخصية العالم – ابن حزم–الذي ساهم في إحياء المذهب وانتشاره بالغرب الإسلامي. والتطرق للخلاف الذي وقع بين المؤرخين حول مذهب الموحدين الفقهي.

الإشكالية:

وعن إشكالية هذا الموضوع فكانت كالتالي:

ما مدى تأثير المذهب الظاهري فقها وسياسة في بلاد الغرب الإسلامي؟

وجاءت الأسئلة الفرعية على النحو التالي:

- ما هي عوامل انتشار المذهب الظاهري؟
- ومن هم أهم رواده؟ وهل اقتصر انتشار المذهب الظاهري على العامل الفكري، أم تعد انتشاره على عوامل أخرى؟ وإن افترضنا بأن جهود ابن حزم وتلاميذه قد ساهمت إلى جانب العامل السياسي في نشر الظاهرية ببلاد المغرب خلال العهد الموحدي فإلى أي مدى ساهموا في ذلك؟ وهل حافظوا على تلك الآراء التي دعا إليها ابن حزم أم تغيرت؟

الإطار الزماني والمكاني للموضوع:

1. الإطار الزماني:

ينحصر موضوع بحثنا هذا في الفترة الزمنية الممتدة من القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي باعتباره القرن الذي انتقل فيه علماء الأندلس وأتباع داود الظاهري لنشر مذهبه بالأندلس، وتوقفت عند القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، على أساس أن هذا القرن يمثل نهاية دولة الموحدين (668 هـ/1269 م)، وبالتالي تراجع المذهب الظاهري.

2 . الإطار المكاني:

أمَا الامتداد الجغرافي لموضوع البحث فشمل بلاد الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس).

الدراسات السابقة:

وبشأن الدراسات السابقة لهذا الموضوع وحسب اطلاعي فوجدت أنها عالجت المذاهب المنتشرة أكثر بالمغرب خاصة المذهب المالكي وصراعه مع مختلف المذاهب الاخرى، ولم يحظ المذهب الظاهري الحيز الكبير من الدراسة، وحتى إن خصص فيخصص لدراسة شخصية ابن حزم، ومع ذلك هناك دراسات عن موضوع الظاهرية بالغرب الاسلامي منها:

- أحمد توفيق الغلبزوري، **المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس**، الذي عالج الموضوع بالتفصيل من خلال إحصائه لأهم رواد الظاهرية وكذلك تطرقه لأثر الظاهرية في مختلف الميادين.
- أحمد بكير محمود: **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب**، الذي عرَف برواد المدرسة، واستدل بأدلة الظاهر في بعض المسائل الفقهية، كما لا يفوتني أن أذكر الدراسة التي قام بها الدكتور عبد الباقي السيد عبد الهادي وعنوانها :" **الظاهرية والمالكية وأثرهما في المغرب والأندلس في عهد الموحدين** ". والذي تناول فيها أثر المذهبين في مختلف ميادين الحياة

السياسية، الاقتصادية والثقافية. إضافة إلى هذه الدراسة صنف كتاب "**تاريخ أهل الظاهر**" الذي أحصى فيه رجال الظاهر بالمشرق والمغرب في مختلف اختصاصاتهم.

المنهج المتبع:

وبخصوص المناهج التي اعتمدت عليها في هذا العمل هو المنهج التاريخي المناسب لطبيعة الموضوع، من أجل الإجابة عن التساؤلات، مراعية في ذلك ما يتطلبه هذا المنهج من تحليل ووصف ومقارنة.

صعوبات الدراسة:

وككل عمل فقد اعترضني بعض العراقيل والصعوبات خلال انجازي لهذه المذكرة وهي:

- صعوبة التعامل مع المادة المصدرية التي لا تكاد تخلو من الذاتية والانتماءات.
- تشعب الموضوع وتداخله والذي شمل عدة جوانب: تاريخية، سياسية، دينية وثقافية.
- اعتماد هذه الدراسة بالدرجة الأولى على كتب الفقه والفرق الإسلامية، لذلك كان عليَ الإحاطة بتعريف هذه الفرق خاصة المذهب الظاهري.
- وجود بعض الاختلافات والتضارب في الآراء بين المؤرخين.

تقسيمات الدراسة:

ولإنجاز هذا العمل قسَمنا عملنا هذا إلى: مقدمة، فمدخل، ثمَ ثلاثة فصول، فالخاتمة.

أما **المقدمة** فتضمنت تمهيد للموضوع وأسباب اختياري له وأهميته، ثم طرحت الإشكالية التي سأحاول الإجابة عليها أثناء الدراسة، وتحدثت أيضا عن الإطار الزماني والمكاني للموضوع، والدراسات السابقة، وبعدها تطرقت للمنهج المعتمد في هذا البحث وتحدثت عن الصعوبات التي واجهتني في المذكرة مع عرض أهم ما جاء في دراستي وتحليل لأهم المصادر والمراجع المعتمدة فيها.

المدخل: وعنوانه المذاهب الفقهية السنية المنتشرة بالغرب الاسلامي قبل ظهور المذهب الظاهري حيث تطرقت فيه لمختلف المذاهب الفقهية السُنية التي عرفتها المنطقة قبل ظهور المذهب الظاهري.

الفصل الأول: فجاء بعنوان نشأة المذهب الظاهري وانتقاله للغرب الإسلامي، تحدثت فيه عن جذور المذهب الظاهري ونشأته، ثم تطرقت لترجمة الإمام داود الظاهري من خلال التعرف على مؤسس المذهب، على عصره، سيرته، وحياته العلمية، ومذهبه الفقهي – ثم تحدثت عن أصول المذهب الظاهري وخصائصه، وبعدها تطرقت لانتشار المذهب الظاهري بالمشرق وتراجعه، ثم دخوله للغرب الاسلامي وانتشاره .

الفصل الثاني: والمعنون بـ: " إحياء المذهب الظاهري وتطوره بالغرب الاسلامي، تحدثت فيه عن ترجمة الامام ابن حزم–مجدد المذهب–من خلال التحدث عن عصره، بيئته، وحياته العلمية، ومذهبه الفقهي، ثم تطرقت إلى أصول المدرسة الظاهرية الحزمية وخصائصها، ثم تناولت انتشار المذهب الظاهري بالغرب الاسلامي في عهد ابن حزم وبعده.

الفصل الثالث: جاء بعنوان : أثر المذهب الظاهري ببلاد المغرب الاسلامي وانحساره، فقد بدأته بأثره في الجانب السياسي من خلال ظاهرية الموحدين وتحول القول من ظاهرية الفكرة إلى ظاهرية الدولة، ثم الحديث عن أثر المذهب الظاهري على الحياة العلمية خاصة النقلية منها، والتي كانت إيجابية من خلال ازدهار نشاط حركة التأليف والشعر، ناهيك عن المناظرات خاصة بين الظاهرية والمالكية ،وفي الجزء الثاني تطرقت لانحسار المذهب الظاهري، وعن اسباب تراجعه بالمنطقة مع نهاية الموحدين، والتي نافشت فيها مجموعة من الأسباب أهمها: تجذر المذهب المالكي بالمغرب، وضعف الموحدين بعد هزيمة واقعة العقاب.

الخاتمة: وفيها لخصت أهم ما وصلت اليه من نتائج لهذه الدراسة.

المصادر والمراجع:

أما عن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها فكانت كالآتي:

1-المصادر:

اعتمدت على قائمة متنوعة من المصادر ما بين كتب الفرق، التاريخ والجغرافيا، الطبقات والتراجم وغيرها ومنها:

- كتاب **الملل والنحل: للشهرستاني،** محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/1153-1154م) والذي استفدت منه كثير من خلال التعريف بمختلف الفرق والمذاهب كالظاهرية، المعتزلة والأشعرية وغيرها.

- كتب الإمام **ابن حزم،** علي بن احمد بن سعيد (ت456هـ/ 1064م) واستفدت منها خاصة كتاب **الفصل في الملل والأهواء والنحل.** واعتمدت عليه في تعريف الفرق والمذاهب كتاب **المحلى في شرح المجلى بالحجج والآثار**، الذي عرض فيه مختلف المسائل الفقهية.

- كتاب **المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي** (ت 669 هـ – 1070م) الذي كان معاصرا للدولة الموحدية، تحدث المراكشي فيه عن كثرة أتباع ابن حزم في عصر الموحدين، فضلا عن ما قدَمه من معلومات عن جهود الموحدين في نشر المذهب الظاهري.

- واعتمدت أيضا على مجموعة من كتب التراجم التي ساعدتني في تحديد التعريف الكامل لعلماء الظاهر وأبرز الشخصيات التي أوردتها في البحث ومن بينها:

- كتاب **الفهرست لابن النديم،** لمحمد بن إسحاق (ت 389هـ/998م)، تحدث عن أبرز رواد ظاهرية المشرق : الإمام داود الذي انفرد بذكر مصنفاته.

- كتاب **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان،** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681 هـ / 1211 م) الذي ترجم لمختلف الشخصيات التي اوردتها في البحث من علماء، وزراء، و حكام.

كتاب **تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي،** (ت 403 هـ / 1012 م)، وكتاب **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس للحميدي،** أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفتوح (ت488 هـ – 1095 م) .

واعتمدت كذلك على المصادر الجغرافية لتحديد المواقع ومعرفة المدن من ذلك كتاب **صورة الأرض، لابن حوقل،** أبو القاسم محمد النصيبي (ت 368 هـ – 978 م).

2-المراجع:

إلى جانب المصادر اعتمدت على مجموعة من الدراسات والبحوث القيَمة والتي أثريت موضوعي أهمها:

- كتاب: **المدرسة الظاهرية في المغرب والأندلس،** للغلبزوري أحمد توفيق، اعتمدت عليه كثيرا من خلال المذاهب المنتشرة بالغرب الاسلامي، والظاهرية بالمغرب والأندلس وشرحه لأهم الأحداث وترجمته للعلماء، إضافة إلى تحدثه عن أثر الظاهرية.

- كتاب **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب:** لأحمد بكير محمود، تضمن المدارس الفقهية والسُنية، وانفرد بالتحدث عن المذهب الظاهري وذكر أعلامه مشرقا ومغربا وأثره الثقافي. وتطرق الى المدرسة الحزمية الظاهرية واصولها كما ناقش انقراض المذهب الظاهري.

- كتاب **الظاهرية والمالكية وأثرهما** في المغرب والاندلس في عهد الموحدين لعبد الباقي سيد عبد الهادي، وكتابه الثاني تاريخ اهل الظاهر وتضمنا، تحديد أثر الظاهرية بالمغرب كما عرّف معظم علماء وفقهاء وولاة وحكام وقضاة الظاهر في كتابه الثاني.

- كتاب **ابن احزم حياته وعصره وآراؤه وفقهه،** لأبي زهرة محمد، وتضمن الحديث عن الظاهر، وانفرد بالتحدث عن الإمام ابن حزم ومشروعه الظاهري.

وبفضل من الله عز وجل ثم بتضافر الجهود تجاوزت الصعوبات التي واجهتني في هذه المذكرة، وذلك بمساعدة الأستاذ المشرف: البشير غانية والذي اقترح عليّ موضوع مذكرتي، فأسأل الله ان يجعله في ميزان حسناته ويجزيه عنا كل الخير.

المدخل

المذاهب الفقهية السنية المنتشرة بالغرب الإسلامي

قبل ظهور المذهب الظاهري

1- المذهب الثوري

2- المذهب الأوزاعي

3- المذهب الحنفي

4- المذهب المالكي

5- المذهب الشافعي

6- المذهب الحنبلي

المدخل:المذاهب[1] الفقهية السنية المنتشرة بالغرب الإسلامي[2] قبل دخول المذهب الظاهري

في أوائل القرن الثاني هجري والذي تزامن مع نهاية عصر الأمويين وبداية العصر العباسي، ظهرت طوائف من الفقهاء في ضل كل من مدرسة الرأي، ومدرسة الحديث، وقام فيهم أعلام بارزون، لكل منهم مميزات ولكل منهم أسسه ومعالمه التي بني عليها فتاواه، وأقام عليها مدرسته، وبذلك ظهرت مدارس فقهية متعددة، منها من أشتهر، ومنها من اندثر، وأهم المدارس التي ذاع صيتها في الأمصار برزت مدرسة أبي حنيفة، ومدرسة مالك بن انس، ومدرسة محمد بن إدريس الشافعي، ومدرسة أحمد بن حنبل، كما ظهرت مدارس أخرى اندثرت، والتي من بينها مدرسة الأوزاعي، ومدرسة سفيان الثوري والمدرسة الظاهرية[3]، –والتي سنشرحها بإيجاز–

أما عن المذاهب الفقهية السنية المنتشرة ببلاد الغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الظاهري، فيمكن القول أن منطقة المغرب الإسلامي تعد من بين الحواضر الإسلامية، فمن الطبيعي ومنطقيا أن تعرف هي الأخرى الفرق والمذاهب الفقهية فقد انتشرت بها في كافة أقطارها، ويرجع الفضل لانتشارها لتأثير الرحلات العلمية والتجارية، حيث ساعدت الرحلات

---

[1] المذهب: في لغة العرب يعني الطريق الذي يذهب فيه، ويمر منه، وفي الاصطلاح يعني الطريقة التي اختطها شخص أو مجموعة سواء أكانت في مجالس الاعتقاد، أو السلوك، أو الأحكام أو غيرها، والمذهب عند العلماء يقصد به: مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية والمقصود بالمذهب عند الفقهاء يقصد به المنهج الفقهي الذي سلكه فقيه مجتهد، اختص به من بين الفقهاء، أدى إلى اختيار جملة من الأحكام في مجال علم الفروع. ينظر: شوقي ضيف وآخرون، المعجم **الوسيط**، ط 4 ، مكتبة الشروق، مصر، 2004م، ص 890.

[2] الغرب الإسلامي: يقصد بمصطلح الغرب الإسلامي بلاد المغرب علاوة على بلاد الأندلس، اتفق اغلب الجغرافيين والمؤرخين أن كلمة المغرب هي الأراضي الإسلامية الواقعة غرب مصر إلى المحيط الأطلسي. ينظر: شمس الدين أبي عبد الله المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، د ط، دار صادر، بيروت، د. س. ط، ص 315. أبي القاسم بن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، د ط، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص 64.

[3] مصطفى جعفر بيشه فرد، **الاجتهاد عند المذاهب الإسلامية** ، ط 1 ، مكتبة مؤمن قريش ، بيروت ، 2011م ، ص87. سعد رستم، **الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات**، ط 3، الأوائل للنشر، دمشق، 2005 م، ص144.

العلمية على تحقيق الاتصال الفكري بين المشرق والمغرب الإسلامي فانتقلت المؤلفات والأفكار بحرية.[1]

وبهذا يمكن القول أن منطقة المغرب الإسلامي عرفت دخول العديد من المذاهب والفرق السنية وغير السُنية، بحيث تعدُ بلاد المغرب أرضا خصبة وصالحة لنصرة أي مذهب نشأ وآت من المشرق الإسلامي.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل كان لهذه المذاهب نفس الحضور؟ أم أن مذهبا ساد وتركَز وانتشر على بقية مختلف الفرق والمذاهب بالغرب الإسلامي؟

وعن أهم المذاهب السنية المنتشرة:

1- **المذهب الثوري:** ينسب هذا المذهب إلى الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري[2]، المحدث وأحد الأئمة المجتهدين، سيد أهل زمانه علما وعملا.

يعتبر المذهب الثوري من أسبق المذاهب دخولا لبلاد المغرب، وذلك بعد سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ / 749م، وقيام الدولة العباسية، ولقد ساهم بعض الفقهاء في نشر تعاليم وأراء مذهبه بإفريقية.[3]

---

[1] كمال السيد أبو مصطفى، **دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، د ط، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997م، ص 121.

[2] سفيان الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ويكنى أبا عبد الله وجده ثور بن عبد مناة، ولد سنة 96هـ وقيل سبع وتوفي سنة 161هـ. ينظر: أبو إسحاق الشيرازي الشافعي، **طبقات الفقهاء** ، تح: إحسان عباس، ط2، مؤسسة جواد للطباعة والتصوير ، بيروت ، 1981 م، ص84.

[3] إفريقية: أي صاحبة السماء وهو لفظ أطلقه الرومان على الإقليم الذي يقابل الجزء الشمالي الشرقي من تونس. ينظر: أبو عبد الله البكري، المغرب **في ذكر إفريقية و المغرب**، د ط، مكتبة المثنى، بغداد، د.س .ط ، ص21.

ومن بينهم البهلول بن راشد[1] وأبو الحسن علي بن زياد[2]، كما انتشرت أفكاره بالمغرب الأقصى قبل قيام دولة الأدارسة، وبالرغم من جهد العلماء إلا أن هذا المذهب ضل منحصرا في الحواضر الكبرى، هذا ما جعله يضمحل ويزول، ولم يترك أثرا ببلاد المغرب.[3]

2- **المذهب الأوزاعي:** ينسب هذا المذهب إلى الإمام عمرو عبد الرحمان بن محمد الأوزاعي[4]، فقيه الشام وعالمها.

ولقد ساهم تلاميذ الأوزاعي بالشام في نشر تعاليم مذهب إمامهم بالغرب الإسلامي خاصة في الأندلس.[5]

ولقد أجمع العلماء على أن أول مذهب عرفته الأندلس منذ فتحها هو مذهب الإمام الأوزاعي، فقد برز في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ) (743/724)، وفي هذا الشأن يقول المقري :"... وأعلم أن أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي وأهل الشام منذ أول الفتح".[6]

---

[1] البهلول بن راشد أبو عمر البهلول بن راشد القيرواني، له ديوان في الفقه، سمع مالك والثوري وغيرهما ولد سنة 128هـ وتوفي سنة 183هـ. ينظر: محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ج1، تع: عبد المجيد خيالي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت ،2002 م، ص92.

[2]علي بن زياد: أبو الحسن الحافظ، سمع من الثوري ومالك وعنه روى الموطأ، ويعد تلميذ مالك وألف مصنفات كثيرة وحول آراء مالك، توفى سنة 183هـ/779م وقيل سنة184هـ. ينظر : ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تح : محمد الأحمدي أبو النور ، د ط ، دار التراث ، القاهرة ، د. س. ط، ص192.محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص91.

[3] سعد رستم، المرجع السابق، ص144.

[4] الأوزاعي: أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو وإمام الشاميين، ولد سنة 80هـ ببعلبك، وتوفي سنة 157هـ/774م. ينظر: محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص41.

[5] كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ج 3، تر: عبد الحليم النجار، ط 3، دار المعارف، مصر، 1974م، ص307.

[6] أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، مج 1، تح: إحسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت ،1968م، ص 290.

كما يرجع الفضل في نشره إلى وجود جاليات من الشام، والتي كانت على مذهب الأوزاعي، وأنصار مدرسة الحديث، كما ساهم الجند والعلماء والمهاجرون بنشر المذهب، ومن العلماء الذين مكّنوا لمذهب الأوزاعي بالأندلس أسد بن عبد الرحمن السبائي[1].

رغم جهد المهاجرين والعلماء في نشر المذهب إلا أن انتشاره كان ضعيفا حيث لم يستطع تكوين مدرسة تصونه، وتضمن استمراره، وبالرغم من بقاء بعض أتباعه لغاية القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي، إلا انه تضاءل نفوذه بشكل كبير[2]

ما يمكن قوله أنه في القرنين الثاني والثالث هجريين كان من أشهر أهل الحديث: مذهبا الثوري والأوزاعي، وكان لهما أنصار وأتباع بالأندلس، لكنهما أسرعا للاضمحلال والزوال بعد زمن وأصبح معترفا بين أهل السنة بأربعة مذاهب وهي: المذهب الحنفي، المذهب المالكي، المذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي.[3]

3- **المذهب الحنفي:** ينسب هذا المذهب إلى صاحبه العالم الجليل أبي حنيفة النعمان بن ثابت [4]، شيخ مشايخ الإسلام، المتفق على فضله وعلمه، عرف أتباعه بأصحاب الرأي استنادا إلى كثرة ما يثيرون من مسائل ويفترضون من قضايا[5]، وتسمى مدرسته بمدرسة الكوفة لأنه نشأ بها، أيضا وصفت بمدرسة العراق.

---

[1] مونتغمري وات، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، تر: رضا المصري، ط 2، مكتبة نرجس، بيروت ،1998م، ص75-78.

[2] أسد بن عبد الرحمن ابن السبئي: من أهل البير، يروي عن الأوزاعي، كان حيا بعد سنة خمسين ومئة، ينظر: أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط 1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م ، ص244.

[3] أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، ج 1، د ط ، مؤسسة هنداوي، القاهرة ، 2012م، ص312. مونتغمري وات ، المرجع السابق ،ص 78 .

[4] أبو حنيفة النعمان بن ثابت: الكوفي قدوة العلماء هو من أسرة فارسية الأصل استوطنت الكوفة ولد فقيه العراق سنة 80هـ، وتوفي سنة 150هـ. ينظر: أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مج 5، تح :إحسان عباس، د ط ، دار صادر ، بيروت، 1977م، ص405. ابن النديم، **الفهرست**، د ط، دار المعرفة، بيروت، د. س. ط، ص284. محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص43.

[5] عبد العزيز المجدوب، **الصراع المذهبي بإفريقية**، ط1 ، دار سحنون، دار ابن حزم، تونس، بيروت، 2008م، ص69.

ومن آثار الإمام أبو حنيفة:" الفقه الأكبر"، ولقد نما الفقه في عصره وازدهر، لا سيما عندما اتخذ العباسيون بغداد مقرا لحكمهم، أين تركزت فيها الحضارة الإسلامية، ونشطت الحركة العلمية، وقرَب الخلفاء العباسيون إليهم الفقهاء، ليقوم حكمهم على أسس من الدين وشريعته،[1] أما عن أصول مذهبه فتمثل في الكتاب، والسنة، القياس[2]، الإجماع[3]، الاستحسان[4]، والرأي[5].

أما عن انتشار المذهب الحنفي فقد انتشر بالعراق وسرعان ما تجاوزها إلى أقطار أخرى، وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون:" وأما أبو حنيفة فقلده اليوم أهل العراق ومسلمة الهند والصين وبلاد العجم كلها".[6]

أما عن انتشاره بمنطقة المغرب الإسلامي فيعود إلى القرن الثاني هجري، الثامن ميلادي، فأرض إفريقية وما وراءها غلب عليها مذهب الكوفيين.[7]

الخلافة العباسية تبنت المذهب الحنفي كمذهب رسمي للدولة لذلك انتشر في المناطق التي كان يشملها نفوذ الخلافة بما في ذلك افريقية، فقد انتشر المذهب بها عن طريق البعثات الرسمية في عهد دولة الأغالبة[8]، كما ساهم العلماء والرحالة والتجار في نشر المذهب

---

[1] مناع القطان، **تاريخ التشريع الإسلامي**، ط 2، مكتبة المعارف، الرياض، 1996م، ص328. سليمان الأشقر، **المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية**، ط2، دار النفائس، الأردن 1998م، ص 93-100.

[2] القياس: هو إثبات مثل حكم معلوم لمعلوم آخر لأجل اشتباههما في علة الحكم عند المثبت. ينظر: مصطفى ديب البغا، **أثر الأدلة المختلف فيها في الفقه الإسلامي**، د ط، دار الإمام البخاري، دمشق، د.س.ط، ص23.

[3] الإجماع: لغة العزم والاتفاق وفي الاصطلاح اتفاق المجتهدين من امة محمد ﷺ بعد وفاته، في عصر من العصور، على حكم شرعي في واقعة. ينظر: محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص41.

[4] الاستحسان: لغة استفعال، وهو عد الشيء واعتقاده حسنا وفي اصطلاح الأصوليين هو العدول بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر لوجه أقوى يقتضي هذا العدول. ينظر: مصطفى ديب البغا، المرجع السابق، ص122.

[5] عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، ط 1، دار الفكر، بيروت 2004م، ص468. احمد بكير محمود، **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب**، ط 1، دار قتيبة، بيروت، 1990م، ص9-10.

[6] عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 469.

[7] عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 70.

[8] دولة الأغالبة: دولة قامت بمنطقة المغرب الأدنى بين 184هـ-286هـ/800-909م كانت تحكم باسم الخلافة العباسية. ينظر: أبو عبد الله محمد بن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج1، تح: ج-س كولان،=

الحنفي بأرض المغرب، ومن أوائل الأحناف وأشهرهم عبد الله بن المغيرة، تلميذ أبي حنيفة مباشرة وأول من دعَم قواعد المذهب من بعده عبد الله بن فروخ الفارسي (115هـ-176هـ/733-792م) وأسد بن الفرات[1] وغيرهم . كما انتشر المذهب وانتقل إلى المغرب الأوسط وضل إلى غاية القرن الخامس هجري، بالإضافة إلى انتشاره أيضا بفاس[2] والأندلس. وهذه الأخيرة كان انتشاره فيها نادرا نظرا لانتشار المذهب المالكي بعد إزاحته للمذهب الأوزاعي[3]، ويقول في هذا السياق القاضي عياض:« ودخل منه شيء-أي مذهب أبي حنيفة- ما وراء إفريقية من المغرب قديما، بجزيرة الأندلس وبمدينة فاس » .[4]

ومن الأندلسيين الذين اعتنقوا المذهب الحنفي زيد بن بشير الأندلسي، الفقيه على مذهب أهل الكوفة. ومن بين الغرباء الذين ساهموا في نشر هذا المذهب الفقهي: أبو هاشم محمد بن الفضل بن عبيد الله بن قتم القرشي العباسي وأبو موسى عيسى بن محمد بن هارون بن عتاب النسفي.

وبهذا يمكن القول أن انتشار المذهب الحنفي، ببلاد الغرب الإسلامي أنه لم يكتب له الذيوع والانتشار وضل مقصورا على الحواضر الكبرى ولم يقبل عليه إلا من كان من أصل عراقي أو فارسي وكانوا يسمون الأحناف باسم العراقيين أو الكوفيين.[5]

=.ليفي بروفانسال، د ط، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص56. شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ج2، تر: محمد مزالي وآخرون، د ط، الدار التونسية، تونس، 1978م، ص60.

[1] أسد بن الفرات: من جند خراسان أصله من نيسابور، ولد سنة 142هـ، قدم أبوه مع محمد بن الأشعث إلى القيروان، سمع عن علي بن زياد. ينظر: عبد الرحمن بن محمد الدباغ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج2، تح: محمد الأحمد أبو النور ومحمد ماضو، د ط، مكتبة الخانجي، المكتبة العتيقة، مصر، تونس، 1972م، ص4-5.

[2] فاس: مدينة جليلة يشقها نهر وهي جانبان يليها أميران مختلفان وبينهما فتن دائمة، مدينة حصينة أحدثها إدريس بن إدريس. ينظر: المقدسي، المصدر السابق، ص119.

[3] آنخل جنثالت بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر: حسين مؤنس، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.س.ط، ص414.

[4] أبو الفضل بن موسى بن عياض القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ج1، تح: أحمد يكبر محمود، د ط، مكتبة الحياة، د.س.ط، ص 586.

[5] عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 71. محمد أبو زهرة: **تاريخ المذاهب الإسلامية**، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س.ط، ص365.

4-**المذهب المالكي:** ينسب هذا المذهب إلى الإمام شيخ المدينة مالك بن أنس[1]، إمام دار الهجرة في زمانه.

تبحر الإمام مالك في رواية الحديث، والتفقه في الكتاب والسُنة، حيث كان إماما في الحديث، وإماما في الفقه.[2]

وعن أصول مذهبه التي أشار إليها وبناء على ما صرح به وما دونه في موطئه فهي: الكتاب، السُنة، الإجماع، إجماع أهل المدينة، القياس، قول الصحابي، المصالح المرسلة[3]، العرف[4] والعادات، سد الذرائع[5]، الاستحسان، والاستصحاب.[6]

ويتلخص مذهبه في الاعتماد على النصوص من الكتاب والسُنة واستخدام الرأي لاستنباط الأحكام الشرعية منها، فهو يمتاز بالالتزام بالقرآن والحديث والابتعاد عن التأويل والاقتصاد في القياس ما أمكن.[7]

وانتشر مذهبه في عدة أمصار، وبفضل تلاميذه انتقل المذهب إلى المغرب والأندلس، واتفقت أغلب المصادر على أن علي بن زياد هو أول من أدخل الموطأ إلى بلاد المغرب

---

[1] مالك ابن أنس: ولد بالمدينة واختلف في تاريخ مولده بين 93 و95هـ، توفي سنة 175هـ، له مؤلفات عديدة منها: الموطأ. ينظر: مالك بن أنس، **الموطأ**، تح: كامل محمد عويضة، ط1، مكتبة التقوى، الجزائر، 2001م، ص 17، 18، ابن فرحون المالكي، المصدر السابق ، ص82. ابن خلكان، المصدر السابق، مج4، ص135. محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص43.

[2] عمر سليمان الأشقر، المرجع السابق، ص 110، سعد رستم، المرجع السابق، ص 154، مناع القطان، المرجع السابق، ص95.

[3] المصالح المرسلة: هي التي لم يقم دليل من الشارع على اعتبارها ولا على إلغائها. ينظر: مصطفى ديب البغا، المرجع السابق، ص34.

[4] العرف: في اللغة بمعنى المعرفة ثم استعمل بمعنى: الشيء المألوف المستحسن، وفي اصطلاح الأصوليين هو: ما استقر في النفوس من جهة العقول، وتلقته الطباع السليمة بالقبول. ينظر: مصطفى ديب البغا، المرجع السابق، ص242.

[5] سد الذرائع: جمع ذريعة والذريعة لها استعمالات كثيرة، منها كل ما يتخذ وسيلة، ويكون طريقا إلى شيء غيره، وسدها: معناه رفعها وحسم مادتها، وفي الاصطلاح استعملت بمغنيين عام وخاص. ينظر: مصطفى ديب البغا، المرجع السابق، ص 566.

[6] الاستصحاب: في اللغة هي الملازمة، وأما في الاصطلاح: تخريج الفروع على الأصول. ينظر: مصطفى ديب البغا، المرجع السابق، ص 186.

[7] عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 43.

وفسَر لهم قول الإمام مالك، إذا يقول القاضي عياض:« أن علي بن زياد هو أول من أدخل للمغرب جامع سفيان الثوري وموطأ مالك، وفسر لهم قول مالك » [1] وكان ذلك في حدود سنة 150هـ/767م.

وأقبل طلبة العلم من القيروان[2] وغيرها من مناطق المغرب الإسلامي للأخذ عنه، ويتفقهون على مذهب مالك، ومن بينهم: أسد بن الفرات، وعبد السلام بن سعيد التنوخي المعروف بابن سحنون.[3]

إذن وبفضل علماء المذهب المالكي ترسخ مذهبهم بالمغرب رغم تعدد المذاهب التي عرفتها المنطقة.

ويقول القاضي عياض في هذا الشأن:« وإنما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل على بن زياد وابن الأشرس والبهلول بن راشد وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك، فأخذ به كثير من الناس، ولم يزل يفشو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه، واستقر المذهب بعده في أصحابه » .[4]

ولم ينتشر المذهب المالكي بإفريقية فقط، وإنما انتشر أيضا بالمغرب الأقصى وانتقل إلى الأندلس[5] زمن الأدارسة. وفي نهاية القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي أصبحت بلاد المغرب معظمها مالكية أمام الزيريين في عهد المعز بن باديس الصنهاجي.[6]

---

[1] القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص11-12.

[2] القيروان: مدينة في تونس تعتبر أول المدن الإسلامية، بناها القائد عقبة بن نافع. ينظر : ابن حوقل ، المصدر السابق، ص 70.

[3] ابن سحنون: أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي القيرواني، أصله من حمص، ولد سنة 160هـ/770م، سمع من علي بن زياد والبهلول بن راشد وغيرهم، وتوفي سنة 240هـ/854م. ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 77. القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص585. ابن خلكان، المصدر السابق، مج3، ص180. محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 103.خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2015م، ص 5.

[4] القاضي عياض، المصدر السابق، ص 586.

[5] عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 470.

[6] المعز بن باديس الصنهاجي بن بلكين الحميري أحد أمراء الدولة الزيرية ولي الحكم سنة 408هـ/1015م، وتوفي سنة 1063/454م. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج3، ص233 .234.

وعن انتقال المذهب المالكي للأندلس فقد انتشر في وقت مبكر في عصر الدولة الأموية بالأندلس على عهد عبد الرحمان الداخل (138–182 هـ / 754 – 789م) الذي يقول عنه المقري في كتابه: انه قطع دعوة آل العباس من منابر الأندلس وسد المذاهب منهم دونها.[1]

ومن علماء الأندلس الذين ساهموا في نشر المذهب المالكي بالأندلس الغازي بن قيس الأندلسي[2] (199 هـ / 814 م) الذي دخل بالموطأ، كذلك عيسى بن دينار القرطبي [3] (ت 212 هـ / 827 م) ويحي بن يحي الليثي[4] (ت 234 هـ / 849م).

وأرجع أحمد أمين انتقال أهل الأندلس إلى مذهب مالك لأسباب منها:

- مذهب مالك أقرب لمزاجهم فهو يعتمد على الحديث وعلى إجماع أهل المدينة أكثر مما يعتمد على القياس والعقل، وهذا المنهج أكثر ملائمة وأوفق للأندلسيين.
- أن رجالاً عظاماً كيحي بن يحي الليثي تتلمذ للإمام مالك في المدينة واخذ عنه، ومنحه الله القوة والسلطان ما مكنه من نشر مذهب مالك وعهد إليه في اختيار القضاة، فكان يختارهم على مذهبه.

---

[1] المقري: المصدر السابق، مج 1، ص 329

[2] الغازي بن قيس الأندلسي: من أهل قرطبة يكنى أبا محمد سمع من مالك والأوزاعي وغيرهم، توفي سنة 199 هـ/814م. ينظر: أبو الوليد عبد الله بن محمد ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، مج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، تونس،2008 م، ص 443.

[3] عيسى بن دينار: بن واقد الغافقي القرطبي، أصله من طليطلة يكنى أبا عبد الله، فقيه الأندلس، توفي سنة 212هـ/827م بطليطلة. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق: ص 426.

[4] يحي بن يحي الليثي: تلميذ مالك في المدينة؟ عهد إليه في اختيار القضاة فكان يختارهم على مذهبه مالك عاقل أهل الأندلس. ينظر: الشيرازي الشافعي، المصدر السابق، ص152.المقري، المصدر السابق، مج2، ص 9 . أحمد أمين، المرجع السابق ص 491.

إذن لقد ترسخ المذهب المالكي وأصبحت له السيادة الكاملة خلال القرنين الرابع والخامس هجريين بعد ما واجهته من صعوبات من قبل الفرق الأخرى خاصة الشيعة[1] أيام العبيديين.[2] ومن هنا يتضح أن المذهب المالكي كان الأكثر انتشارا ببلاد المغرب الإسلامي ويعود ذلك لعدة أسباب منها:

- ملاءمة بعض أصول مذهب مالك للواقع المغربي.
- دور الأئمة والعلماء في نشر المذهب خاصة الإمام سحنون.
- بعد المغرب جغرافيا عن مركز الخلافة الإسلامية بالإضافة إلى دور السلطان[3]

وفي هذا السياق يضيف ابن خلدون في مقدمته: " وأتى مالك – رحمه الله تعالى – فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس. وإن كان يوجد في غيرهم: إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ... ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس... وأيضا فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضاً عندهم.[4]

---

[1] الشيعة: حسب رأي الفقهاء هم أتباع علي بن أبي طالب وبنيه الذين شايعوه وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، انقسمت لعدة فرق. ينظر: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، **الملل والنحل**، تح: محمد سيد الكيلاني، د ط، دار المعرفة، بيروت، د. س. ط، ص 146.أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج2، تح : محمد إبراهيم نصر وآخرون ، ط 2 ، دار الجيل ، بيروت ، 1996 م، ص 270.

[2] العبيديين: أو الفاطميين واختلف المؤرخون في نسب هذه الدولة والعبيديين نسبة الى عبيد الله المهدي أول خلفاء الدولة. ينظر: أبو العباس تقي الدين احمد علي المقريزي، **أتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، ج1، تح: محمد عبد القادر احمد عطاء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2001، ص3.

[3] عبد الرحمان الجيلالي، **كيف رسخ المذهب المالكي في المغرب**، مجلة الموافقات، العدد3، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، 1994، ص228-230.

[4] عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 470.

وهكذا انتشر المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي، حتى انه كانت المدرسة المالكية بالمغرب اقوي المدارس في نواحي الدولة الإسلامية كلها. وأشدها تمسكاً بالنصوص الشرعية من قرآن وسنّة.[1]

5-**المذهب الشافعي**: ينسب إلى صاحبه الإمام محمد بن إدريس الشافعي.[2]

رحل لبلدان عديدة كاليمن وبغداد ومصر التي استقر بها وأسس مذهبه فيها، واخذ عنه جماعة منهم، ومن تلاميذه البويطي[3] والمزني[4] وغيرهم[5] .

وعن أصول مذهبه فهي تعتمد على الكتاب والسنة والقياس. [6]

ولقد بدأ المذهب الشافعي يدخل إلى بلاد إفريقية والأندلس في وقت مبكر، أواسط القرن الثالث هجري وليس بعد الثلاثمائة كما ذهب إليه القاضي عياض في كتابه[7].

رغم انه نافس المذهبين المالكي والحنفي إلا انه لم يكن منتشرا كالمذهب المالكي، وعن المتأثرين بالمذهب الشافعي فكان عددهم قليل، ومنهم محمد بن علي البجلي (ت314 هـ /929 م) وإسحاق بن النعمان (ت 315 هـ / 927 م) وأبرزهم كان عبد الملك بن محمد الضبي المعروف بابن بردون. [8]

---

[1] محمد بن احمد بن تميم التميمي أبو العرب، **طبقات علماء افريقية وتونس**، تق وتح: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، ط2، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، الجزائر. 1985 م ص 13-14.

[2]الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي، ولد بغزة سنة 150 هـ. ونشأ بمكة، تلميذ الإمام مالك، من كتبه، الرسالة، الوصية، الفقه الأكبر والأم، توفي بمصر سنة 204 هـ. ينظر: محمد ابن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 43. وينظر أيضا: ابن خلكان، المصدر السابق، مج4، ص163. ابن النديم، المصدر السابق، ص 294.

[3]البويطي: أبو يعقوب يوسف بن يحي، روى عن الشافعي أنه قال: أبو يعقوب لساني، توفي ببغداد سنة 231هـ. ينظر: أبو إسحاق الشيرازي الشافعي. المصدر السابق، ص98. وينظر أيضا: ابن النديم، المصدر السابق، ص298.

[4]المزني: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحي بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق المزني. من كتبه: الجامع الكبير والجامع الصغير والمسائل المعتبرة. توفي بمصر سنة 264 هـ. ينظر: أبو إسحاق الشيرازي الشافعي، المصدر السابق، ص97. وينظر أيضا: ابن خلكان، المصدر السابق: مج1، ص 217. ابن النديم، المصدر السابق، ص298.

[5] مناع القطان، المرجع السابق ص 374 – 376.

[6] مصطفى جعفر بيشة فرد، المرجع السابق، ص 133. احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 14.

[7]القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص66.

[8] عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 99 – 100.

ورجالات المذهب الشافعي بالمغرب لم يعتلوا مناصب حساسة تساعدهم على نشر مذهبهم والتمكين له[1]، وعكس المغرب فإن المذهب الشافعي بالأندلس حظي برعاية رسمية ووجدت الشافعية مجالاً للنشاط الديني والعملي وأبرز العلماء الذين ساهموا في دخوله للأندلس قاسم بن محمد بن سيار[2] من أهل قرطبة (ت 276 هـ/ 889م) والذي يعد أول من ادخل المذهب الشافعي للأندلس وساهم في نشره تدريسا وتأليفا. [3]

ورغم أن المذهب الشافعي بالأندلس أخذ به الأكابر إلا أنه لم يعرف ذيوعا وانتشارا وهذا يرجع لأسباب منها:

- مقتل الأمير عبد الله بن الناصر، الشافعي المذهب الذي لقي حتفه على يد أبيه، وكان لذلك أثر سيء على المذهب الشافعي في الأندلس إذ توقف امتداده وانتشاره.[4]
- عدم اهتمام الشافعية بنشر مذهبهم ونصرته والدفاع عنه.
- تضييق الفقهاء المالكية على أتباع مذهب الشافعي بالأندلس.
- لم يتح لأتباع الشافعية من المناصب الكبرى في الدولة ما يمكنهم ويساعدهم على نشر فقه إمامهم وإذاعة مذهبه بين الناس.[5]

6- **المذهب الحنبلي:** ينسب هذا المذهب إلى الإمام الفقيه المحدث أحمد بن حنبل[6] البغدادي، من علية أئمة الحديث . ونظرا لعلمه المتوسع حيث كان فقيها ومحدثا وإمام في

---

[1] احمد أمين، المرجع السابق، ص 508.

[2] قاسم بن محمد بن سيار: القرطبي محدث الأندلس، ويكنى أبا احمد، أول من أدخل المذهب الشافعي بها. توفي سنة 276 هـ / 889 م. ينظر ابن الفرضي. المصدر السابق ص 456 -457.

[3] توفيق بن احمد الغلبزوري الإدريسي، **المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس**، تق: محمد بن الأمير بوخبزة وآخرون، ط 1، دار ابن حزم، الرياض، 2006، ص171.

[4] أنخل بالنثيا ، المرجع السابق، ص434.

[5] توفيق احمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 182 – 183.

[6] احمد بن حنبل: أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل البغدادي ولد سنة 164 هـ وتوفي ببغداد سنة 241هـ/855 م. ينظر: محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص42. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج1، ص 63.

اللغة والقرآن وفي السنة والزهد[1]اقتدى به الناس وانتسب له أتباع كثيرون ويعد مذهبه رابع المذاهب السنية، واعتمد في مذهبه على الكتاب والسنة[2] .

وهناك من أنكر أن يكون لأحمد بن حنبل مذهب أصلا وقالوا عنه: انه ليس بفقيه ولكنه محدث[3] ويقول عنه ابن خلدون: " فأما احمد بن حنبل فمقلدوه قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد وأصالته في معاضدة الرواية وللإخبار بعضها ببعض وأكثرهم

الشام والعراق من بغداد ونواحيها، وهم أكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث .... وصارت كثرتهم بالشام ".[4]

ولم يحظ المذهب الحنبلي بالانتشار بالمغرب والأندلس إلا انه لا يمكن جزم بأن لا يوجد لها أنصار وحتى إن وجد ارتكز على بعض الأفراد والتي ذكرتها كتب التراجم وذلك لكونه كان محدثا.

وهناك مشارقة على المذهب دخلوا للأندلس فأخذ عنهم بعض أهلها مثل: سالم بن علي بن ثابث بن أبي يزيد الغساني اليماني الحنبلي المذهب وعبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن بن شجاع المزوري.[5]

وبهذا ما يمكن قوله عن المذاهب الفقهية المنتشرة ببلاد الغرب الإسلامي هو أن بلاد المغرب كانت أرضا خصبة لنصرة وتقبل هذه المذاهب وحتى وان اختلف بين مذهب وآخر من حيث الانتشار وهذا راجع للأسباب المذكورة سابقا فإنه ترك أثر في تقبل أي مذهب قادم من المشرق وهيأ الأرضية لفقهاء الظاهر الذين انتقلوا للأندلس – فكيف كانت نشأة هذه المدرسة بها؟ وإلى ما يرجع انتشارها؟

---

[1] أبو الحسن محمد بن أبي يعلى، **طبقات الحنابلة**، ج1، ط1، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، د س ط، ص4.

[2] مناع قطان، المرجع السابق، 385، مصطفى جعفر بيشة فرد. المرجع السابق، ص145.

[3] توفيق احمد الغليزوري، المرجع السابق، ص 186.

[4] عبد الرحمان بن خلدون، المرجع السابق، ص469.

[5] توفيق احمد الغليزوري، المرجع السابق ص 186.

الفصل الأول

نشأة المذهب الظاهري

وانتقاله للغرب الإسلامي

1- ترجمة الإمام داود الظاهري

2- أصول المذهب الظاهري وخصائصه

3- انتشار المذهب الظاهري

4- تراجع المذهب الظاهري بالمشرق وانتقاله للمغرب والأندلس

جذور المذهب الظاهري[1] ونشأته

يعتبر القرن الثالث هجري أزهى العصور بالنسبة لأهل الحديث وأغناها بأئمته وأحفلها بعلومه وأنشطها في التأليف فيه، حيث جمع علماؤه في هذا القرن، وهذبوا، وصنفوا، وأتوا بما فاقوا فيه من قبلهم، ولم يلحقهم فيه من بعدهم. فنهضة الحديث بلغت ذروتها ولقد أثَر القرن الثالث هجري في ظهور فقه المحدثين. ولهذا كان القرن الثالث عصر المحدثين والمجتهدين وشهد تميز المذاهب الفقهية، وظهور الدعاة الذين يحتجون لها ويرسون أصولها، ومن بين هذه المذاهب الفقهية المذهب الظاهري ولقد ذكر الشهرستاني في كتابه أن المجتهدين من أئمة الأمة محصورين في صنفين أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، ومن بين أصحاب الحديث أصحاب أهل الظاهر[2].

وتحدث ابن خلدون عن الظاهرية بقوله:" ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية ... وكان إمام هذا المذهب داود بن علي " [3]

وبخصوص جذور المذهب الظاهري ونشأته فقد نشأ ببغداد، وأول من دعا إليه من أهل السُنة هو الإمام داود بن علي الأصفهاني(ت 270 هـ) الذي جعل الاتجاه إلى الظاهر مذهبا ملتزما،يدعو إليه وينتصر له. [4]

---

[1] الظاهر في اللغة ضد الباطن. وعند الأصوليين: هو اللفظ الدال على معنى متبادر منه. ينظر: عبد المجيد محمود عبد المجيد، **الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث هجري**، د ط، دار العلوم، د . م . ن، 1979م، ص335.

[2] الشهرستاني، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 11.

[3]أبو زيد ولي الدين عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، اع: أبو صهيب الكرمي، د ط، بيت الأفكار الدولي، د.م.ن ، د.س.ط، ص 227.

[4] عبد المجيد محمود عبد المجيد، المرجع السابق، ص 350.

ورغم اتفاق اغلب المصادر التاريخية على أن داود الظاهري هو مؤسس المذهب، فهناك من ارجع جذوره إلى عصر الصحابة، حيث كان منهم من يقرأ النصوص على ظاهرها ويفتي بالظاهر[1].

ويرجع ظهور المذهب الظاهري إلى عدة أسباب منها:

- الإسراف في استخدام القياس والذي أدى إلى اتساع الشقاق من الفروع والسنن إلى الأصول.
- تأثر الإمام داود الظاهري بالإمام الشافعي في الأخذ بالنصوص وتعزيزها.
- ازدهار الحركة الباطنية التي تدعوا إلى ضرورة وجود إمام مستتر يعلم الناس ما ليس في وسعهم أن يتعلموه من ظاهر الآيات والأحاديث.[2]

أولا: ترجمة الإمام داود الظاهري

قبل التحدث على الأصول والمبادئ التي اعتمد عليها المذهب الظاهري لا بد من التطرق إلى التعرف على شخصية مؤسس المذهب الأول وواضع معالمه وهو الإمام داود الظاهري، وذلك من خلال التطرق إلى مولده، نشأته وظروف عصره، شيوخه وتلاميذه واتجاهه لتأسيس مذهب يخالف المذاهب الأخرى.

1-عصر الإمام داود الظاهري

قبل أن نترجم الإمام داود وذكر أصول مذهبه نتعرف على عصره والعوامل التي أحاطت به وكان لها أثرها في حياته.

---

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، **تاريخ أهل الظاهر**، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2014 م، ص 16.

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الظاهرية والمالكية وأثرهما في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2014 م، ص 45. عباس محمود العقاد، **التفكير فريضة إسلامية**، د ط، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د. س. ط، ص103.

بحلول القرن الثالث هجري ولد الإمام داود بن علي بن خلف إمام أهل الظاهر، وقد عاصر ثمانية من الخلفاء العباسيين وهم المأمون (198 – 218 هـ) المعتصم (218– 227هـ)، الواثق (227 –232 هـ) المتوكل (232 – 247 هـ)، المنتصر (247 – 248هـ) المستعين (248 – 252 هـ)، المهتدي (252 – 256 هـ) والمعتمد (256 – 279هـ).[1]

واتسمت الحياة السياسية لهذا العصر بالمشاكل وإثارة الفتن وقيام الثورات، وعرف العالم الإسلامي خلال هذا القرن حالة ضياع، وكان المسلمون بين الخلفاء ونار الثورات، وظلم جند الأتراك.

أما الحياة الاجتماعية في هذا العصر فالمجتمع كان عبارة عن مزيجا من العناصر المتباينة من حيث الجنس، والعقيدة، وأبرز العناصر كانت: العرب، الفرس، الأتراك، والرقيق.[2]

وبالنسبة للحياة العلمية في عصر الإمام داود الظاهري فهذه الفترة شهدت نهضة علمية بحيث كان ذلك العصر عصر العلم والتدوين والترجمة، ونبغ مجموعة من العلماء، فظهر الفقهاء، المحدثون واللغويون.

وترجع ازدهار الحياة العلمية لمجموعة من العوامل منها:

- اهتمام الخلفاء والولاة والأمراء بالعلم والعلماء.
- تنوع المؤسسات والمراكز التعليمية كالمساجد والمكتبات خاصة في عهد المأمون [3]

---

[1] عارف خليل محمد أبو عبيد، **الإمام داود الظاهري وأثره في الفقه الإسلامي**، ط 1، دار الأرقم، الكويت 1948 م، ص19.احمد توفيق الغليزوري، المرجع السابق، ص 65.

[2] توفيق احمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 65.

[3] المأمون: عبد الله المأمون بن هارون الرشيد الخليفة العباسي ولد سنة 170 هـ /786 م، بويع بالخلافة بعد قتله لأخيه سنة 198 هـ / 813 م واستمر إلى أن توفي غازيا سنة 218هـ/832 م. ينظر: محمد الخضري بك: **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية**، مراجعة: نجوى عباس، ط 1، مؤسسة المختار، القاهرة 2003م، ص 166.

- انتشار صناعة الورق منذ عهد الرشيد [1]
- بالإضافة إلى امتزاج الثقافات وذلك لتعدد الأجناس داخل الدولة، والمتمثلة في الثقافة الفارسية، اليونانية والهندية، بالثقافة الإسلامية

وأهم هذه العوامل المساهمة في النهضة العلمية هي الحرية الفكرية.[2]

ونظرا للنهضة العلمية نضج الفقه وكان يدرّس في مختلف الأمصار: الحجاز، العراق، الشام، ومصر. لذلك وجد الإمام داود تلك الثروة الفقهية. ومن مظاهر هذا العصر:

- شيوع مهاجمة القياس الفقهي سواء من المحدثين أو من أهل الظاهر.
- وفرة دواوين السنة والآثار، فقد جمعت في مختلف أقطار العالم الإسلامي.
- النفور من الرأي والإعراض عنه.[3]

وصفوة القول هو أن عصر الإمام داود الظاهري تميز بالشمول ومثّل عصره تمازج الثقافات والأجناس وعصره ألَم بمختلف العلوم والمعارف.

2-حياة الإمام داود الظاهري:

اسمه – نسبه ومولده:

هو الإمام داود بن علي بن خلف الأصبهاني الأصل، الكوفي المولد، البغدادي الدار، المكنى بأبي سليمان الشهير بداود الظاهري.[4]

---

[1] الرشيد: هو هارون الرشيد بن محمد المهدي، ولد سنة 145 هـ، بويع بالخلافة سنة 170 هـ وسنه 25 سنة، توفي سنة 194هـ/808 م وعمره 48 سنة. ينظر: محمد الخضري بك: المرجع السابق، ص 101.

[2] عارف خليل، المرجع السابق، ص 35-36، توفيق احمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص 65.

[3] عارف خليل، المرجع السابق، ص 39-40. توفيق احمد الغلبزوري، المرجع السابق 65-66. محمد الخضري بك، المرجع السابق، ص 194.

[4] أبو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج 8، د ط، دار الكتب العلمية بيروت، د.س.ط، ص 369-370 . احمد بن علي بن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، ج 3، اع: عبد الفتاح أبو غدة، ط3 مكتبة المطبوعات الإسلامية،=

اجمع كل من ترجم له أن نسبته إلى أصبهان[1]وهي مدينة من أعلام المدن،ولد الإمام داود في حدود سنة 200هـ[2] /815 م[3]، وقيل انه ولد سنة 202 هـ / 817 م. [4]

ولقب بداود الظاهري بحكم انه أول من أظهر القول بظاهرية الشريعة واعتمد على ظواهر النصوص من الكتاب والسُنة. [5]

- نشأته وحياته العلمية:

لم تدون المصادر التاريخية عن أسرة ونشأة داود الظاهري، وإن وردت فإشارات فقط. وهذا راجع لعوامل – والتي حددها عارف خليل في كتابه – وتمثل في:

- نشأة الإمام داود الظاهري في عائلة مغمورة والتي لم يشتهر فيها من العلماء أحد.
- قوله بالظاهر ومحاربته للتقليد ونفيه للقياس هذا ما أدى بوقف العلماء ضده ومواجهته بل وبمحاولة طمس أخباره.[6]

= د.م.ن، ص 407. تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب عل عبد الكافي السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج2 ، د ط، دار إحياء الكتب العربية، د.م.ن، د.س.ط، ص 284–287.

[1] أصبهان: هي إحدى مدن إيران حاليا وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن بأرض فارس. ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 236. وينظر أيضا: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، د ط، دار صادر، بيروت، د.س.ط ، ص 129.

[2] البغدادي، المصدر السابق، ج 8، ص 374.

[3] كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص 316.

[4] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 503.

[5] احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 16.البغدادي: المصدر السابق، ج8 ص 373.

[6] عارف خليل، المرجع السابق، ص 50. نور الدين الخادمي، **الدليل عند الظاهرية**، ط 1، دار ابن حزم، بيروت، 2000م، ص 32–33. ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ص 227.

- تبنيه لآراء خالف فيه جمهوري الفقهاء من ذلك: قوله: بخلق القرآن[1] هذا ما أدى بنفور العلماء منه.[2]
- ضعف تلامذته الذين تزعموا بعده قيادة مذهبه، فلولا ابن حزم الذي أحياه من جديد والذي دافع عنه لاندثر هذا المذهب كبقية المذاهب الأخرى.[3]

وبالرغم من هذه العوامل فإن أبى سليمان تعلم وارتحل في مختلف الأمصار لتلقي العلوم بما أن عصره تميز بنهضة علمية، وحرية فكرية، وقد تزعمت مدن العراق بغداد، البصرة والكوفة قيادة النشاط الأدبي والعلمي، وهي المدن التي رحل إليها الإمام، كما رحل إلى نيسابور[4] لتلقي العلم واخذ على أشهر فقهائها ومحدثيها.[5]

شيوخه: أما عن أشهر العلماء الذين اخذ عنهم فعصره تزامن مع بروز نخبة من الفقهاء والعلماء خاصة في بغداد فتلقى العلوم والمعارف على أهم علماء الأمة، ومن بينهم:

- إبراهيم بن خالد (أبو ثور)[6]: (ت 240 هـ)

احد الأئمة فقها وعلما، روى عن الشافعي وابن عيينة.

- أخذ عنه الإمام داود فقه الشافعي، روى عنه أبو داود وابن ماجة، كما اخذ عنه الإمام مسلم.[7]

---

[1] خلق القرآن: انتشرت مسألة خلق القرآن في عقد الخليفة العباسي المأمون من قبل المعتزلة، حيث اعتبروا القرآن مخلوق وليس كلام الله المنزل كما عند المسلمون، والإمام داود قال، أن القرآن الذي بأيدينا مخلوق، فاتهموه العلماء بأنه مبتدع. ينظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 372. وينظر أيضا: محمد الاخضري بك: المرجع السابق، 194. محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 505.

[2] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 508.

[3] عبد الرحمان بن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 467، عارف خليل، المرجع السابق، ص 45.

[4] نيسابور: من أكبر مدن فارس. ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 236.

[5] كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص 316.عارف خليل، المرجع السابق، ص 50.

[6] أبو ثور: إبراهيم بن خالد اليمان الكلبي البغدادي ويعر بأبي ثور وأبي عبد الله، من كتبه: الصيام، الصلاة وغيرهما، توفي سنة 240 هـ ببغداد. ينظر: ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 26. وينظر أيضا: تاج الدين السبكي، المصدر السابق، ج2، ص74-80. ابن النديم، المصدر السابق، ص 297.

[7] احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 16 . احمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 66-67.

- **إسحاق بن راهوية:** [1] الفقيه والمحدث أحد أعلام الدين، نزيل نيسابور، روى عن ابن عينيه وعمر بن هارون وفضيل بن عياض وغيرهم، ويعتبر ابن راهوية من شيوخ الإمام داود كما روى عنه أيضا كبار أئمة المسلمين كالإمام البخاري، مسلم، والترمذي وابن داود واحمد بن حنبل وغيرهم.[2]
- **سليمان بن حرب**[3]: نزيل مكة وقاضيها، اخذ عنه الإمام داود منذ صباه، كما روى عنه احمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية والإمام البخاري، وغيرهم.[4]

✓ **عبد الله القعنبي**[5]: نزيل البصرة واحد أعلام المسلمين، اخذ عنه الإمام داود الحديث، وروى عنه كذلك الإمام البخاري، ومسلم وأبو داود وغيرهم.[6]

- **محمد بن كثير العبدي**[7]: اخذ الإمام داود العلم عنه كما روى عنه أيضا الإمام البخاري وأبو داود وغيرهما.[8]

---

[1] ابن راهوية: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي الحنظلي المروزي، ولد سنة 161 هـ وتوفي سنة 228 هـ. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج 1، ص 200.

[2] عارف خليل، المرجع السابق، ص 71.

[3] سليمان بن حرب: بن نجيد الأزدي البصري ولد سنة 140 هـ توفي سنة 224 هـ وقيل 227 هـ. ينظر: البغدادي، المصدر السابق، ج 9، ص 33.

[4] احمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 68.

[5] عبد الله القعبي: عبد الله بن مسلمة بن قعنب أبو عبد الرحمان، أحد أعلام الدين، ولد سنة 130 هـ وتوفي سنة 221 هـ بمكة. ينظر: عارف خليل، المرجع السابق، ص 75.

[6] احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 16. عارف خليل، المرجع السابق، ص 75-76.

[7] محمد بن كثير العبدي: أبو عبد الله البصري المحدث توفي سنة 223 هـ وقيل مائة عام. ينظر: أبو العماد شهاب الدين الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج2، ع: عبد القادر الارناؤوط وآخرون: ط 1، دار بن كثير بيروت 1988، ص 52.

[8] عارف خليل: المرجع السابق، ص 76.

✓**مسدد بن مسرهد**[1]: يعد من شيوخ الإمام داود الظاهري: أخذ عنه الحديث، وروى عنه كذلك الإمام البخاري، وأبو داود.[2]

إذن هؤلاء بعض من شيوخ الإمام داود الظاهر وما يمكن استخلاصه هو ان الامام داود عاصر اغلب المحدثين وشاركوه في شيوخه كالإمام البخاري، مسلم، والنسائي وابن ماجة القزويني.

- **صفات الإمام داود الظاهري ووفاته:**

رغم نفور العلماء من إمام أهل الظاهر داود ابن علي إلا انه تميز بمجموعة من الصفات تعليه حيث كان فصيحا قوي الحجة سريع الاستدلال، من حفظه الحديث، كما كان جريئا في الحق، ومع جرأته، اشتهر بعبادته وزهده وورعه وإعراضه عن الدنيا وملذاتها، وعيشه على القليل.[3]

أما عن وفاة الإمام داود، فاتفقت أغلب المصادر التاريخية أنه توفي سنة 270 هـ ببغداد، ويقول ابن خلكان في هذا الشأن: " وتوفي داود الظاهري سنة سبعين ومائتين في ذي القعدة وقيل في شهر رمضان، ودفن في الشونيزية وقيل منزله ".[4]

مذهبه الفقهي:

نشأ الإمام داود شافعيا بكونه أخذ على تلاميذ الإمام الشافعي كأبي ثور، كما انه التقى الكثير من أصحابه وخلف مصنفات تتحدث عن فضائل الشافعي، كما كان من المتعصبين

---

[1] مسدد بن مسرهد: مسدد بن مسرهد بن مسربل الأسدي البصري – كان محدث زمانه ويعتبر أول من صنف المسند بالبصرة. توفي سنة 228 هـ بالبصرة. ينظر: محمد ابن سعد، **الطبقات**، ج 9، تح: علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م، ص 309.

[2] عارف خليل، المرجع السابق، ص 77–78.

[3] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 507 . احمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 69–71

[4] ابن خلكان، المصدر السابق ج 2، ص 255.

للشافعي وهذا لان الإمام الشافعي كان يفسّر الشريعة بالنصوص[1]. وذكر احمد بكير محمود في كتابه أن الإمام داود كان شافعيا أبوه كان حنفيا.[2]

وكان داود يطلب الحديث، ويسمع للكثير من محدثي عصره، كما روى عنهم أثناء رحلاته العلمية من مدن العراق إلى نيسابور، وأظهر تعصبه للشافعي.[3]

اجتهد الإمام داود وبعد تعلمه للفقه وغوصه في علم الحديث، انفرد بمذهبه الخاص حيث اتخذ لنفسه مذهبا، عمدته القول بالظاهر وإنكار القياس ولم يقتصر الإمام داود على إنكار القياس والرأي بل أنكر التقليد كذلك [4]

ولقد قيل له كيف تبطل القياس والشافعي أخذ به، فردّ قائلا: أخذت أدلة الشافعي إبطال الاستحسان فوجدتها تبطل القياس.[5]

وبذلك برز مذهب جديد اعتبره جل المؤرخين والمصادر التاريخية مذهب سني خامس يتمحور حول ظاهرية الشريعة ويأخذ الأحكام من ظواهر النصوص من غير تعليل لذلك تطلق على الإمام داود الظاهري [6]

---

[1] الشهرستاني، المصدر السابق، ص 11. عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ص 227، عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الظاهرية والمالكية**، المرجع السابق، ص 45، عمر سليمان الأشقر، المرجع السابق ص 27.

[2] احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 16.

[3] تاج الدين السبكي، المصدر السابق، ج 2، ص 287-293.

[4] كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص 316.

[5] مصطفى جعفر بيشة فرد، المرجع السابق، ص 169.

[6] عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ص 227. كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص 316 -317. محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 507.

وذكر الشهرستاني في كتابه في هذا السياق: " أن داود الأصفهاني وغيره من لم يجوز القياس والاجتهاد في الأحكام، وقال الأصول هي الكتاب والسنة والإجماع فقط، ومنع أن يكون القياس أصلا من الأصول، وقال أن أول من قاس إبليس " [1]

ولكن كيف انتقل من الفقه الشافعي إلى فقه الظاهر؟

ولقد تحدث عن ذلك الإمام أبو زهرة في كتابه فذكر أن الإمام داود تأثر بالفقه الشافعي في الأخذ بالنصوص واحترامها مع كثرة رواية السنة في عصره، جعله يتجه إلى النصوص وحدها.[2]

ويمكن القول انه بإجماع العلماء أول من اظهر القول بظاهرية الشريعة واخذ الأحكام من ظواهر النصوص من غير تعليل بها، فيقول الخطيب البغدادي في هذا الشأن، " إنه – أي داود – أول من اظهر انتحال الظاهر، ونفى القياس في الأحكام قولاً، واضطر إليه فعلاً، وسمّاه الدليل" [3]

- نماذج من فقه الإمام داود:

✓ تجنب الزكاة في كل ما تنبت الأرض حتى الحشيش فيقول الإمام ابن حزم في هذا: " وقال أبو سليمان داود بن علي وجمهور أصحابنا: الزكاة في كل ما أنبتت الأرض، وفي كل ثمرة، وفي الحشيش، وغيره ذلك لا تحاش شيئا، قالوا فما كان من ذلك يحتمل الكيل لم يحب فيه الزكاة حتى يبلغ الصنف الواحد منه خمسة أوسق فصاعدا، وما كان لا يحتمل ففي قليله وكثيره الزكاة ". [4]

---

[1] الشهرستاني، المصدر السابق، ص 11.

[2] محمد أبو زهرة، المرجع السابق ص 507.

[3] البغدادي، المصدر السابق، ج 8، ص 374

[4] ابن حزم الأندلسي، **المحلى في شرح المجلى بالحجج والآثار**، اعتنى: حسان عبد المنان، ط، بيت الأفكار الدولية، د.م.ن 2003 م، ص 528.

- ✓ ومن المسائل الفقهية له أيضا: لا تعتق أم الولد حتى يلفظ سيدها بعتقها، هذا بخلاف ابن حزم الذي يقول: بمنع بيع أم الولد [1]
- ✓ رد شهادة الفاسق وذلك لقوله تعالى:﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾[2] الذي أفاد وجوب قبول شهادة العدل تصريحا، ورد شهادة الفاسق
- ✓ لا يقع طلاق السكران
- ✓ لا يصح صوم التطوع بنية من النهار
- ✓ إذا تكلم في الصلاة ناسيا لا تبطل [3]

ثانيا: أصول المذهب الظاهري وخصائصه

ترجع أصول المذهب إلى عدة أمور، حيث جعلوا مدارك الشرع كلها منحصرة في النصوص والإجماع.

وأصر الإمام داود على أصول مذهبه والتي حصرها في الكتاب والسنة والإجماع فقط، ورد القياس الجلي والعلة المنصوصة إلى النص وذلك لان النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها.[4]

ولقد تميز المذهب الظاهري كأي مذهب فقهي بخصائص ومعالم من بينها:

✓**الأخذ بظواهر النصوص:** هذه الخاصية انفرد بها أهل الظاهر عن بقية المذاهب الأخرى، لذلك أطلق عليهم لقب الظاهرية، فسموا بأهل الظاهر لتمسكهم بظاهر الكتاب الكريم والسنة.[5]

---

[1] ابن حزم، **المحلى**، المصدر السابق، ص 1655.

[2] سورة الطلاق، الآية:2.

[3]عبد الباقي السيد الهادي، **تاريخ أهل الظاهر**، المرجع السابق، ص 202 – 208، نور الدين الخادمي، المرجع السابق، ص 31-32.

[4] الشهرستاني، المصدر السابق، ص 11، عبد الرحمان بن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ص 227

[5] محمد عبد الله أبو صعيليك، **ابن حزم الظاهري إمام أهل الأندلس**، ط 1، دار القلم، دمشق، 1995 م، ص، 144.محمد ابو زهرة، المرجع السابق، ص 506، نور الدين الخادمي، المرجع السابق، ص 40 .

إذ تظهر طريقتهم في الأخذ بظواهر النصوص عند استنباط الأحكام منها.[1]

ومنهج الإمام داود أساسه الاعتناء بالنصوص حفظا، ومدارسة، وفقها، وتعليما إلا أنهم وقفوا عند ظاهرها ولم يغوصوا في أعماقها[2]

إذن القول بالظاهر خاصية تميز بها أهل الظاهر، إذ يأخذون بظواهر النصوص القرآنية والنبوية في الفروع والأصول، في الأحكام والاعتقاد، ولقد أثبتوا ذلك بجملة من العقائد كالشفاعة، عذاب القبر ونزول عيسى عليه السلام وغير ذلك.[3]

✓**نفي القياس:** ولقد أبطل أهل الظاهر القياس، فالمذهب يقوم على إنكار القياس إذ يرى أن في القرآن والحديث توجد أدلة كافية لبيان وتوضيح الأحكام، ويرى داود أن القول بالقياس تشريع عقلي والدين إلهي، ولو كان الدين بالعقل لجرت أحكام على خلاف ما أتى به الكتاب والسنة . فوجب أن نتقيد بظاهرهما ولا نبيح القياس إلا إذا ورد نص بتحريم أو تحليل وبين فيه علته.[4]

ولقد دوَن ابن حزم مذهب داود وكتب عن قضية نفي القياس حيث قال: "فأين للقياس مدخل، والنصوص قد استوعبت كل ما اختلف الناس فيه، وكل نازلة تنزل إلى يوم القيامة باسمها".[5]

ومن بين العبارات التي أشارت بنفي الإمام داود للقياس ما قاله الشهرستاني في كتابه: إن الأصول الكتاب والسنة والإجماع فقط، ومنع أن يكون القياس أصلا من الأصول وقال أول من قاس إبليس.[6]

---

[1] احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 21

[2] عمر سليمان الاشقر، المرجع السابق، ص 28

[3] نور الدين الخادمي، المرجع السابق، ص 40

[4] حسان محمد حسان، **ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي**، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س.ط، ص63-64.

[5] ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، ج 1، احمد محمد شاكر، د ط، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، د، س،ط، ص 106

[6] الشهرستاني، المصدر السابق، ص 11

ولقد تضاربت الآراء حول نفي الإمام داود للقياس جليه وخفيه فهناك من ذهب في القول أن داود كان يعطي القياس مكانا عند الحاجة ويسمى هذا دليلا وهذا الأمر رفضه الإمام ابن حزم.[1]

ولقد تضاربت الآراء حول إنكار الإمام داود للقياس، إلا أنه من خلال آثاره ومصنفاته التي أكَدت نفيه للقياس، من بين كتبه ألف كتاب بعنوان: "إبطال القياس" [2]

ومن هنا يتضح أن الإمام داود قد أعطى مكانه دليلا، فالدليل عنده نحول قوله تعالى:﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[3]دليل على رد شهادة الفاسق كذلك قوله تعالى:﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[4] دليل على أن كل مانع من السعي إلى الجمعة تركه واجب.[5]

✓ **إبطال القول بالرأي:** وقد أبطل أهل الظاهر العمل بالرأي أيضا " لا يحل لأحدكم الحكم بالرأي ".[6]

وخالف الإمام داود بقية المدارس الفقهية الأخرى في هذه المسألة التي يعدها غير جائزة، واهم ما استدل به الإمام داود في مسألة إبطال الرأي هو أن النصوص القرآنية والسنية بما فيها من معاني وأحكام كافية ووافية دون الحاجة للرأي، فالله تعالى يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[7] ويقول تعالى : ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[8]

---

[1]عارف خليل، المرجع السابق، ص 140. حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص 64

[2]ابن النديم، المصدر السابق، ص 303

[3]سورة الطلاق، الآية " 2 ".

[4]سورة الجمعة، الآية " 9 ".

[5]عارف خليل، المرجع السابق، ص141.

[6]ابن حزم، **النبذ، في أصول الفقه الظاهري**، تح : محمد زاهد، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2010 م، ص 63-64.

[7] سورة الانعام، الآية " 38 ".

[8] سورة النحل، الآية " 64 ".

ومن هنا يتبين نفيه القاطع للقول بالرأي فعند أهل الظاهر الرأي في الدين مرفوض والاجتهاد به مبغوض.[1]

✓**رفض القول بالأدلة الفعلية من استحسان ومصالح مرسلة وسد للذرائع:** وذلك لأنها كلها من باب القول في الدين بالرأي والهوى الباطل.[2]

والاستحسان عند أهل الظاهر أمر مرفوض لكثرة اختلافه واضطرابه، ورفض من قبل داود وبالتالي أنكره كل ظاهري.[3]

✓**نفي الاعتداد بعمل أهل المدينة:** حيث قرر أهل الظاهر بنفي الاعتداد بعمل أهل المدينة مطلقا وبذلك انه لو كان تخصيص المدن جائز لكانت مكة المكرمة أطيب بقعة على وجه الأرض بصريح المنقول والمعقول، أولى بتخصيصها بهذه الخاصية من المدينة المنورة.[4]

✓**الإجماع:** اعتبر الظاهرية الإجماع من مصادر أحكام الشريعة، وشرطه أن يكون على نص من قرآن أو سنة ولا يمكن أن يكون إجماع من علماء الأئمة على غير نص.[5]

✓**منع التقليد مطلقا على الخاصة والعامة[6]:** لقد رفض أهل الظاهر التقليد ومنعوه سواء صادر من جاهل عامي يقلد العلماء او المجتهدين أو صدر من قبل مجتهد أو عالم ولو في مسألة واحدة.[7]

---

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، **تاريخ أهل الظاهر**، المرجع السابق، ص 23، ابن حزم، **النبذ**، المصدر السابق، ص 65

[2] عادل عبد العزيز غيث عبد الخالق، **الصراع المذهبي بين المالكية والظاهرية في الأندلس وموقف ملوك الطوائف حياله**، المجلة الليبية العالمية، العدد 2، جامعة بنغازي، ليبيا، 2015 م، ص 06 .

[3] احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 22

[4] نور الدين الخادمي، المرجع السابق، ص 49

[5] ابن حزم، **النبذ**، المصدر السابق، ص 12-15. ابن حزم ، **الإحكام** ج 1 .المصدر السابق ، ص 71 .عبد الباقي السيد عبد الهادي، **تاريخ أهل الظاهر**، المرجع السابق، ص21

[6] ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، ج 6، المصدر السابق، ص 59.

[7] نور الدين الخادمي، المرجع السابق، ص 47.

والتقليد عندهم مذموم وقبيح، وعندهم المجتهد المخطئ خير من المقلد المصيب، والله تعالى لم يجعل للمقلد شيء.[1]

✓**شرع من قبلنا ليس شرعا لنا:** فلا يحل الحكم بشريعة من قبلنا، وبرهان ذلك قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾.[2]

إذن ما يمكن قوله من خلال التحدث عن بعض من قواعد ومبادئ المذهب الظاهري والتي اعتبرت خصائص تميز عن غيره من بقية المذاهب، فإن الفقه الظاهري يتمثل في اعتماده على الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة دون العناية بعللها ومقاصدها، ودون الاهتمام بالقرائن المحيطة بتلك الألفاظ حين ورودها.[3]

ثالثا: انتشار المذهب الظاهري

لقد انتشر المذهب الظاهري رغم معارضة الكثيرين له، حيث ناصره أتباع كثيرين في المائة الرابعة للهجرة بالعراق، وعمان وفارس وبلاد السند، ولا سيما بين المتصوفة الذين وجدوا فيه تحريرا لهم من قيود كثيرة اشترطتها المذاهب الأخرى في أداء الفرائض.[4]

ويرجع انتشاره لعاملين هما:

أولها: مصنفات الإمام داود

وثانيها: تلاميذ داود الظاهري [5]

---

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، **تاريخ أهل الظاهر**، المرجع السابق، ص 24-25

[2] سورة المائدة الآية " 48 "

[3] عبد المجيد محمود عبد المجيد، المرجع السابق، ص 335

[4] كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص 316

[5] مصطفى جعفر بيشة فرد، المرجع السابق، ص 170

1ـ مصنفات الإمام داود:

لقد دون الإمام داود كل جهوده في إثبات وتأصيل مذهبه، وبذل كل ما بوسعه لانتشاره، ومصنفاته كانت معظمها في مجال الفقه والأصول والتأصيل لمدرسته الفقهية مما يوضع علمه الواسع، وبالرغم من كثرة تصنيفه إلا أن كتبه غير متداولة بين الناس فتعرضت للضياع والتلف مبكرا ولم يبقى منها شيء. [1]

وهذا ربما راجع لتحامل العلماء والفقهاء ضده مثلما أسلفنا الذكر.

إلا أن ابن النديم ذكر في كتابه " الفهرست " أن للإمام داود الظاهري كتبا كثيرة والذي أثبتها على الترتيب ما قرأ : كتاب الطهارة، كاتب الحيض، كتاب الأذان، كتاب الصلاة، كتاب القبلة، كتاب المواقيت، كتاب السهو – (أربعمائة ورقة)، كتاب الاستسقاء، كتاب افتتاح الصلاة، كتاب ما يفسد به الصلاة، كتاب الجمعة، كتاب صلاة الخوف، كتاب صلاة الخسوف، كتاب صلاة العيدين، كتاب الإمامة، كتاب الحكم على تارك الصلاة، كتاب الجنائز، كتاب عسل الميت، كتاب الزكاة (ثلاثمائة ورقة)، كتاب صدقة الفطر، كتاب صيام التطوع، كتاب صيام الفرض (ستمائة ورقة)، كتاب الاعتكاف، كتاب المناسك، كتاب مختصر الحج، كتاب النكاح (ألف ورقة) ،كتاب الصداق، كتاب الرضاع، كتاب النشوز، كتاب الخلع، كتاب البينة على من يستحق البينة عليه، كتاب الاستبراء، كتاب الرجعة، كتاب مسألة في كتاب الإيلاء، كتاب الظهار، كتاب اللعان، كتاب المفقود، كتاب الطلاق، كتاب طلاق السنة، كتاب الإيمان في الطلاق، كتاب الطلاق قبل الملك، كتاب طلاق السكان والناشئ، كتاب العدد، كتاب البيوع، كتاب الصرف، كتاب المأذون له في التجارة، كتاب الشركة، كتاب الفرائض، كتاب الوديعة، كتاب العارية، كتاب الحوالة والضمان، كتاب، كتاب الرهن، كتاب الإجارات، كتاب المزارعة، كتاب المساقاة، كتاب المحافرة والمعاقل، كتاب الشرب، كتاب الشفعة، كتاب الكفالة بالنفس،

[1] احمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 74 . كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص 316-317

كتاب الوكالة، كتاب احكام إلا باق، كتاب الحدود، كتاب السرقة، كتاب تحريم المسكر، كتاب الأشربة، كتاب الساحر، كتاب قتل الخطأ، كتاب قتل العمد، كتاب القسامة، كتاب الجنين، كتاب الايمان والكفارات كتاب التدور، كتاب العتاق، كتاب العتاق، كتاب المكاتب، كتاب المدبرة، كتاب ايجاب القرعة، كتاب الصيد، كتاب ذبائح المسلمين، كتاب الاضاحي، كتاب العقيقة، كتاب الأطعمة، كتاب اللباس الطب، كتاب الجهاد ن كتاب السير، كتاب قسم الفيئ، كتاب سهم ذوي القربى، كتاب قسم الصدقات، كتاب الخراج، كتاب المعدن، كتاب الجزية، كتاب القسمة، كتاب المحربة، كتاب سير العادلة، كتاب المريد، كتاب اللقطة والضوال، كتاب اللقيط، كتاب الفرائض، كتاب ذوي الارحام، كتاب الوصايا، كتاب الوصايا في الحساب، كتاب الدور، كتاب الولاء والحلف، كتاب الخناث، كتاب الأوقات، كتاب الهبة والصدقة، كتاب القضاء، كتاب أدب القاضي، كتاب القضاء على الغائب، كتاب المحاضر، كتاب الوثائق (ثلاثة آلاف ورقة)، كتاب السجلات، كتاب الحكم بين أهل الذمة، كتاب الدعوى والبينات (ألف ورقة)، كتاب الإقرار، كتاب الرجوع عن الشهادات، كتاب الحجر، كتاب التفليس، كتاب الغصب، كتاب الصلح، كتاب النضال، كتاب ما يجب من الاكتساب، كتاب الذب عن السنن والأحكام والأخبار (ألف ورقة)، كتاب الرد عن أهل آلافك، كتاب المشكل، كتاب الواضح والفاضح للساعي، كتاب صفة أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب اعلام النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب المعرفة، كتاب الدعاء، كتاب المستقبل والمستدبر، كتاب الإجماع ،كتاب إبطال التقليد، كتاب إبطال القياس، كتاب خبر الواحد، كتاب الخبر الموجب للعلم، كتاب الحجة، كتاب الخصوص والعموم، كتاب المفسر والمجمل، كتاب ترك الأفكار، كتاب الربيع بن سليمان، كتاب رسالة ابي الوليد، كتاب رسالة القطان، كتاب الرسالة هارون الشاري، كتاب الايضاح (أربعة آلاف ورقة)، كتاب المتعة.[1]

[1] ابن النديم، المصدر السابق، ص 305 . احمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 76-78

قال محمد بن إسحاق: نسخت هذه الكتب من جزء عتيق بخط محمود المروزي، واحسب هذا الرجل على مذهب داود إلا انه غير معرو33ف.[1]

كما ان لداود مسائل وردت عليه من الأصقاع والمواضيع منها كتاب المسائل الأصفهانيات، كتاب المسائل المكتومات، كتاب المسائل البصريات، كتاب المسائل الخوارزميات، كتاب الكافي في مقالة المطلب – يعني الشافعي، كتاب مسألتين خالف فيهما الشافعي والكتب الأولى يحتوي عليها كتاب سماه كتاب السير.[2]

ولقد نقل هذه التصانيف إلى الأندلس ونشرها تلميذ الإمام داود عبد الله بن قاسم بن هلال الأندلسي[3] (ت 272 هـ)، الذي دخل العراق، ولقي أبا سليمان، فكتب عنه كتبه المذكورة كلها وادخلها للأندلس[4].

2- تلاميذ الإمام داود:

إذ يُعدّ العامل الثاني لنشر المذهب الظاهري، ولقد أخذ عن إمام أهل الظاهر مجموعة من التلاميذ، الذين تأثروا به واتبعوا مذهبه، وساهموا في نشر معالم ومبادئ الذهب.[5]

وقيل عن تلاميذ داود: " كان في مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان اخضر " [6]

ومن بين تلاميذ داود الذين انتصروا لمذهبه:

---

[1] ابن النديم، المصدر السابق، ص 305

[2] نفسه، ص 305-306 .عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 211.

[3] قاسم بن هلال القيسي الأندلسي: كان مالكيا تتلمذ للإمام داود وادخل عنه كتبه مباشرة واجتهد في نشر المذهب الظاهري، توفي سنة 272 هـ. ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 180. وينظر أيضا: الحميدي، المصدر السابق، 246

[4] احمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، 78.

[5]محمد عبد الله أبو صعيليك، المرجع السابق، ص 146

[6] تاج الدين السيكي، المصدر السابق، ج 2، ص 290-293.

1-أبو عاصم الضحاك[1]: أحمد بن محمد بن عمر النبيل والمشهور بأبي عاصم الضحاك، توفي سنة 287 هـ بالبصرة، خلف آثار، تعرضت للضياع في ثورة الزنج بقي له تأليف مطبوع، وآخر مطبوع.[2]

2-محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني[3] : أبو بكر (ت 297 هـ) الإمام الفقيه، الاديب، والشاعر، كان فقيها على مذهب أبيه، له كتب فقهية : كتاب الإنذار، وكتاب الإعذار، وكتاب الوصول الى معرفة الأصول، وكتاب اختلاف مسائل الصحابة وغيرها.[4]

3-أبو محمد رويع بن احمد بن يزيد (ت 303 هـ) البغدادي، احد مشائخ الظاهرية، ومن كبار صوفية بغداد في عصره [5]

4-إبراهيم بن جابر:[6]أبو إسحاق (ت 310 هـ) احد أئمة الظاهرية الكبار له كتاب الاختلاف.

5-إبراهيم بن محمد[7]: الملقب بنفطويه لتأثره بمذهب سيبويه، تلميذ داود الظاهري، صنف كتبا كثيرة منها: كتاب الملح، كتاب الرد على من قال بخلق القرآن.[8]

---

[1] أبو عاصم الضحاك: الفقيه الظاهري، من كتبه الديات، وله مخطوط كتاب "الأوائل الظاهرية "، توفي بالبصرة سنة 287هـ. ينظر: ابن النديم، المصدر السابق، ص 319. وينظر أيضا: احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 30.

[2] احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 30

[3] أبو بكر محمود بن داود بن علي: أحد أشهر فقهاء الظاهر، له كتاب الزهرة في الشعر، خلف والده في إمامة المذهب وهو ابن ست عشرة سنة، توفي سنة 297 هـ. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص 261، تاج الدين السبكي، المصدر السابق، ج 3، ص 164.

[4] احمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 80

[5] احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 30

[6] إبراهيم بن جابر أبو إسحاق، ولد سنة 235 هـ، المحدث والفقيه الظاهري، توفي سنة 310 هـ. ينظر: ابن النديم، المصدر السابق، ص 319.

[7] إبراهيم بن محمد: بن عرفة بن سليمان بن المغيرة أبو عبد الله الأزدي العتكبي الظاهري النحوي، من كتبه: " التاريخ "، و"غريب القرآن " توفي سنة 323 هـ. ينظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص 177. وينظر أيضا: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج1، تح : إحسان عباس ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993 م ، ص 271.

[8] الشيرازي، المصدر السابق، ص177. ابن النديم، المصدر السابق، ص81، كارل بروكلمان، المرجع السابق ج1، ص271.

6- عبد الله بن احمد المغلس: أبو الحسن (ت 324 هـ) الفقيه الظاهري، اخذ العلم عن الامام داود وابنه محمد، وكان يقصده الناس من مختلف الأمصار وصنف مجموعة من الكتب منها كتاب الموضح، كتاب المنجح، كتاب المفصح، كتاب أحكام القرآن، كتاب الطلاق، وكتاب الولاء، إلا أنها فقدت [1]

7- محمد بن إسحاق القاشاني: [2] وقيل القاساني والمكنى أبو بكر، اخذ العلم عن الإمام داود، قيل انه كان ظاهريا ثم انتقل للمذهب الشافعي، من كتبه: كتاب الرد عن داود في إبطال القياس، وكتاب اثبات القياس، كتاب أصول الفتيا.

إذن هؤلاء يمثلون اغلب تلامذة داود الذين دافعوا عن مذهبه وانتصروا له وبعدهم جاء طائفة من العلماء انتصرت لمذهبه، لم يتتلمذوا له مباشرة.

من بينهم:

- احمد بن محمد بن صالح المنصوري: من أفاضل الداوديين، من كتبه: كتاب "المصباح الكبير"، كتاب الهادي وغيرها من الكتب. [3]
- عبد العزيز احمد الجزري الاصفهاني: أحد علماء الظاهر والمتكلمين في المذهب، من كتبه، كتاب مسائل الخلاف. [4]
- أبو الطيب ابن الخلال: من كتبه: "إبطال القياس"، كتاب "نعت الحكم ي أصول الفقه".[5]

---

[1] ابن النديم، المصدر السابق، ص 306. الزركلي، المصدر السابق، ص 12. عارف خليل، المرجع السابق، 108.

[2] محمد بن إسحاق القاشاني: وقيل القاساني من قاشان، أو قاسان، وهي بلدة قرب قم تبعد ثلاثين فرسخا من اصبهان، كان داوديا ثم انتقل للمذهب الشافعي توفي سنة 280 هـ. ينظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص 176. وينظر أيضا: ابن النديم، المصدر السابق، ص 300.

[3] ابن النديم، المصدر السابق، ص 306.

[4] ابن النديم، المصدر السابق، ص 307. عارف خليل، المرجع السابق، ص 115.

[5] نفسه، ص 306. عبد الباقي السيد عبد الهادي، **تاريخ اهل الظاهر**، المرجع السابق، ص 222.

- أبو سعيد الحسن بن عبيد النهرباني: من كتبه كتاب " إبطال القياس "[1]
- إبراهيم بن احمد بن الحسن الرباعي: أبو إسحاق البغدادي، من كتبه، كتاب "الاعتبار في إبطال القياس" [2]
- يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف الازدي أبو نصر: القاضي البغدادي، الشاعر، الكاتب، كان مالكيا وانتقل الى مذهب داود الظاهري، تمم كتاب الايجاز لمحمد بن داود [3]
- محمد بن طاهر بن علي بن القيسراني: أبو الفضل المقدسي من متأخري الظاهرية بالمشرق له كتاب ب : " صفوة التصوف " توفي سنة 307 هـ [4]

إذن هؤلاء يمثلون فقهاء واعلام المذهب الظاهري بالمشرق والذين انتصروا له من خلال آثارهم ومصنفاتهم، التي تعرضت معظمها للضياع، ولولا انتقال اتباع الظاهر للأندلس لاندثر المذهب الظاهري.

رابعا: تراجع المذهب الظاهري بالمشرق وانتقاله للمغرب والاندلسي

صحيح ان المذهب الظاهري تألق وانتشر بالمشرق رغم وجود مذاهب سنية أخرى منافسة خاصة خلال القرنين الثالث والرابع هجريين، وقيل انه كان رابع مذهب في القرن الرابع في الشرق، وكان الثلاثة التي هو رابعها، مذهب الشافعي، وابي حنيفة، ومالك، فكأنه في الشرق أكثر انتشارا من مذهب السنة احمد بن حنبل في القرن الرابع الهجري.[5]

وبالرغم من ان العلماء ساهموا بنشر المذهب من خلال مصنفاتهم الا ان دورهم ضل ثانويا، وتركزت جل مصنفاتهم في ابطال القياس، أو مسائل خلافية بين إمامهم وائمة السنة الاخرين.[6]

---

[1] ابن النديم، المصدر السابق، 306، احمد بكير محمود المرجع السابق، ص31.

[2] نفسه، ص 320، احمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 84.

[3] احمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 84.

[4] نفسه، ص 85.

[5] محمد عبد الله أبو صعيليك، المرجع السابق، ص 146. مصطفى جعفر بيشة فرد، المرجع السابق، ص 170.

[6] احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 32.

وبحلول القرن الخامس هجري تهيأ المذهب الحنبلي القاضي أبو يعلي، فهذا الأخير استطاع زحزحة المذهب الظاهري، وجعل مذهب الامام احمد ابن حنبل رابع مذهب بعد مذهب ابي حنيفة ومالك والشافعي، وهكذا بدا يتراجع انتشار المذهب الظاهري في المشرق.[1]

وذكر الشافعي في هذا الشأن، ان علماء وفقهاء الشافعية لا يقيمون لأهل الظاهر وزنا ولا يعدونهم من علماء الأمة.

واتهم اهل الظاهر من قبل علماء الجمهور حتى انهم قالوا عنهم انهم يشبهون الخوارج، وذم العلماء رأي داود، وقيل عنهم انهم بدعة ظهرت بعد المائتين، ورغم هذا لم يفقد المذهب الظاهري أنصار من قبل العلماء خاصة الحنابلة الذين نقلوا الكثير من المسائل في الفروع [2]

والسؤال المطروح في هذا الشأن: لماذا تراجع المذهب الظاهري بالمشرق؟ ولماذا بدا معتنقوا المذهب يقلون في المشرق؟

والاجابة على هذا السؤال تتمثل مجموعة من الأسباب التي تضافرت لزحزحة المذهب الظاهري بالمشرق منها:

- السلطة كانت وراء المذاهب الأربعة، فقد كان الخلفاء يهبون الهبات لطائفة من علماء المذاهب الأربعة وسائر المذاهب السنية الأخرى كانت ضعيفة، وهنا سياسة الدولة فرضت نفسها، فمعاهدها ودروسها لا تعلم الا المذاهب الأربعة، كذلك الوظائف والمناصب لا يتولاها الا أصحاب المذاهب الأربعة، لذلك كان لزاما ان ينتشر مذهب ويندثر ويتراجع آخر [3]

- ومن الأسباب كذلك هو ان المذهب الظاهري جاء آخر المذاهب الأربعة وجودا، حيث لما بدأ المذهب ينتشر كانت معظم البلاد الإسلامية معتنقة لمذاهب مختلفة، فالحنفية بالعراق،

[1] عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 103. حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص 72.

[2] عارف خليل، المرجع السابق، ص 44.

[3] حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص 72-73

والشافعية بالحجاز، والشام، ومصر والمالكية في المغرب والأندلس، والمذهب الحنبلي يزاحمه في العراق، وهذا ما ذكرته جل المصادر التاريخية.[1]

- لم يكن في أتباع أهل الظاهر ومعتنقيه تلك القوة فحاربه العلماء [2]

- بالإضافة الى هذه الأسباب، سبب انكار الامام داود للقياس وخالفة اهل الفقه، ترتب عنه هجوم شديد من العلماء، كما منع التقليد أيضا [3]

- ومن أسباب شدة المعارضة، هو ما أذيع على لسان الامام داود على القول بخلق القرآن، إضافة الى اشهار المذهب بأحكام فقهية غير متعارف عليها.

وهكذا تضافرت هذه الأسباب التي جعلت اتباع هذا المذهب عدد قليل فحاربه علماء السنة ولولا ابن حزم لاضمحل المذهب الظاهري وانقرض كغيره من المذاهب.

- **انتقال المذهب الظاهري للمغرب والاندلس:**

لقد كانت حواضر المشرق لا تخلوا من طلاب العلم المغاربة، فمنذ القرن الثاني هجري وهم يتوافدون على المدينة، بغداد، ومصر، يأخذون العلم والأدب عن مشاهير الرجال بها، وبهذه الطريقة انتقل المذهب الظاهري لبلاد الغرب الإسلامي خاصة الاندلس كما جاء مذهب مالك ومذهب النعمان والشافعي والحنبلي وحتى فقه الخوارج.[4]

وقد ارتحل عدد كبير من العلماء نحو المشرق اذ اقتبسوا الكثير والقليل من الظاهرية وزرعوا بذورها في الأندلس.[5]

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص 467. الشهرستاني، المصدر السابق، ص 11-12

[2] عارف خليل، المرجع السابق، ص 146

[3] عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ص 227

[4] الخوارج: كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا، سواء كان الخروج أيام الصحابة على الائمة الراشدين، او كان بعدهم على التابعين. ينظر: ابن حزم، **الفصل في الملل**، المصدر السابق، ص 270. وينظر أيضا: الشهرستاني، المصدر السابق، ج 1، ص 114.

[5] احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 32، حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص 73-74.

لقي المذهب الظاهري حياة جديدة في الأندلس وأول من أدخل المذهب الظاهري للأندلس حسب المصادر والمراجع التاريخية هو عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال– سبق ترجمته (ت 272 هـ) الذي كان مالكيا وتتلمذ لداود، واخذ عنه كتبه مباشرة، وادخلها للأندلس، كما انه كان عارفا بالمذهب الشافعي، الا انه اختار المذهب الظاهري واجتهد في نشره. [1]

وبذلك يمكن القول ان بذور الفقه الظاهري بدأت تتضح بالأندلس اثناء حياة الامام داود اذ أن الأندلسيين كان لهم شغف بالرحلة الى المشرق، اما بخصوص دخول المذهب الظاهري لبلاد المغرب لم تحدد مصادر التاريخ دخوله ولا على يد من من الفقهاء ولا في عهد مَن من الولاة والحكام، إلا انه يمكن تحديد ذلك، فمجرد دخوله للأندلس عن طريق عبد الله بن قاسم، فرحلته من المشرق للأندلس حتما كانت تمر على المغرب.[2]

وفي نفس العصر اشتهر اندلسي آخر بالعلم والذكاء والفكر الناقد وهو بقي بن مخلد[3](ت 276 هـ).

فهو اول من قال بالعمل بالنصوص الشرعية من كتاب وسنة وترك ما سواهما [4]

ويعتبر بقي بن مخلد من السباقين الذين أدخلوا نوعا جديدا من الدراسة الفقهية بالأندلس، أي القول بالظاهر. [5]

---

[1] الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس**، ج 1، تح : إبراهيم الابياري، ط 1، الكتاب المصري، دار الكاتب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1989 م، ص 453–454. ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 297

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الظاهرية والمالكية**، المرجع السابق، ص 47

[3] بقي بن مخلد: القرطبي ويكنى أبا عبد الرحمن، رحل للمشرق سمع من كبار محدثيها، كما رحل لأفريقية وسمع من سحنون، من كتبه : " تفسير القرآن " و " مسند النبي صلى الله عليه وسلم " توفي سنة 276 هـ . ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 143–145. وينظر أيضا: الضبي، المصدر السابق، ص 301–302. المقري : المصدر السابق، مج 2، ص47. الحميدي: المصدر السابق، ص 251 . عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**، تح: محمد السعيد العريان، ج3، د ط، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة، 1963، ص49.

[4] احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 320.

[5] محمد أبو زهرة، ابن **حزم حياته عصره آراؤه وفقهه**، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، ص 263.

كذلك من بين من كان لهم شأن في نشر المذهب الظاهري ابن وضاح[1]وتلميذه قاسم بن اصبغ[2](ت 340 هـ) فابن وضاح انتقل إلى المشرق وداود حي [3]، بينما قاسم بن اصبغ رحل الى المشرق سنة 247 هـ ودخل بغداد آملا بالتقاء الإمام داود إلا أن الإمام توفي قبل دخوله وبعد تبحره في العلم بالمشرق عاد للأندلس بعلم وافر ساهم به في إرساء دعائم الفقه الظاهري هناك.[4]

ثم تدعم المذهب الظاهري بمجيئ شخصية أخرى معتبرة هي شخصية منذر بن سعيد البلوطي[5](ت 355 هـ) الذي رحل الى المشرق لطلب العلم واخذ العلم على شيوخ الظاهرية. وذكره ابن حزم في كتابه " رسالة فضائل أهل الأندلس: " وإذا نعتنا عبد الله قاسم بن هلال ومنذر بن سعيد لم نجار بهما الا أبا الحسن ابن المغلس والخلال الديباجي ورويم بن احمد، وقد شركهم عبد الله في ابي سليمان وصحبته".[6]

---

[1] ابن وضاح: او عبد الله محمد بن وضاح، جده مولى لعبد الرحمن الداخل، عاصر بقي بن مخلد، حمل الحديث من الشرق للغرب، توفي سنة 386 هـ . ينظر: المقري، المصدر السابق، ج 6، ص 13. وينظر أيضا: شمس الدين الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج 3، تح : علي أبو زيد، ط 9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ص 445

[2] قاسم بن اصبغ : بن محمد بن يوسف، أبو محمد البياني، وبيانة من اعمال قرطبة، ولد سنة 247 هـ، سمع من بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح، له كتاب " المجتنى " توفي سنة 340 هـ . ينظر: المقري: المصدر السابق، مج 2، ص 48، الضبي، المصدر السابق، ص 589-590 . وينظر أيضا: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 667-669

[3] محمد أبو صعيليك، المرجع السابق، ص 147

[4] حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص 74

[5] منذر بن سعيد: بن عبد الله البلوطي – البلوطي موضع بقرطبة – العالم الفقيه والاديب ولي القضاء في حياة الحكم المستنصر، من كتبه : كتاب " الإنباه على استنباط الاحكام من كتاب الله " وكتاب " الابانة عن حقائق أصول الديانة " – " الناسخ والمنسوخ " وغيرها، توفي سنة 335 هـ . ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص 513 – 514. وينظر أيضا: الضبي، المصدر السابق، ص 621-622 . ابن العماد الحنبلي، المصدر الساق، مج 4، ص 288-289 . عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 55

[6] ابن حزم، **رسائل ابن حزم الاندلسي**، ج2، تح، احسان عباس، ط 2، المؤسسة العربية، بيروت، 1987. ص 187

وجاء بعد منذر بن سعيد شيوخ تخصصوا في دراسة الفقه الظاهري من بينهم، مسعود ابن سليمان بن مفلت[1](ت 426 هـ) شيخ ابن حزم كان يدرس المذهب الظاهري، أثار سخط فقهاء المالكية فاعتبروه خطرا على العقيدة وانه يسعى لإفساد الملة فمنع من التدريس.[2]

ثم انكمشت الظاهرية فترة من الزمن خاصة بعد وفاة منذر بن سعيد البلوطي(ت 355هـ)، ومجيء المنصور بن ابي عامر الحاجب. [3] المالكي المذهب اليمني القحطاني. [4]

ولو لم يكن ابن حزم من بعد هذا العصر ابن وزير وقد تقلد هو مناصب إدارية عالية ما سمح له بإظهار آرائه من اول مرة، وقد اعتبره الناس في البداية صاحب مذهب سني، وبعد ذلك لما تجاهر لأئمة السنة لا سيما ابي حنيفة ومالك اذ ذاك أبعد ولقي مصير مؤسفا. [5]

ويعتبر ابن حزم العالم الذي يمثل مذهبه وحمل العبء وحده لنشر وخدمة المذهب الظاهري.

وهكذا يبين دور هؤلاء العلماء في نشر مذهب داود بالأندلس وساهموا بفضل رحلتهم للمشرق في طلب العلم.

وصفوة القول عن المذهب الظاهري وانتشاره فمذهب ظهر بالمشرق ببغداد واستطاع بفضل علمائه ان ينافس المذاهب السنية المنتشرة ورغم الصعوبات التي واجهها من علماء الجمهور ضل المذهب قائما متمسكا بمبادئه والعمل على ظاهر النصوص وبفضل أتباعه انتقل المذهب من المشرق للغرب الإسلامي أين أعيد احياؤه من جديد وتجذره وتطوره بتأسيس

---

[1] مسعود ابن سليمان بن مفلت أبو الخيار الداودي المذهب ذا فكر حر، توفي سنة 426 . ينظر: محمد أبو زهرة ابن حزم، المرجع السابق، ص 266.

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ اهل الظاهر، المرجع السابق، ص 107.

[3] المنصور بن ابي عامر: محمد بن عبد الله بن ابي عامر الحاجب المنصور أبو عامر، امير الاندلس، سمع الحديث، ولد سنة 327 هـ وتوفي سنة 392 هـ. ينظر: ابو عبد الله محمد بن عبد الله ابن الآبار. **الحلة السيراء**، ج 2، تح، حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص 269-273 . مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، تح، عبد القادر بوباية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص 216 عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 73

[4] احمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 33-34.

[5] محمد أبو زهرة، ابن حزم، المرجع السابق، ص 37.

مدرسة ظاهرية بزعامة الإمام ابن حزم الأندلسي الذي استطاع أن يحي المذهب من جديد بل وبإضافة خصائص للمذهب، فما هي أبرز العوامل التي ساعدت ابن حزم على نشر واحياء المذهب الظاهري؟

الفصل الثاني

بإحياء وتطور المذهب الظاهري

في المغرب الإسلامي

1- ترجمة الإمام ابن حزم

2- أصول المدرسة الظاهرية الحزمية وخصائصها

3- انتشار المذهب الظاهري في الغرب الاسلامي

عرف العالم الإسلامي من خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى تغير جذريا على مختلف الأصعدة ومن بين التغيرات التي عرفها نشوء فرق ومذاهب فقهية وكانت نشأة هذه الفرق ببلاد المشرق وبحكم منطقة المغرب الإسلامي بما فيها الأندلس إقليم تابع للعالم الإسلامي فإنه هو الآخر عرف هذه التغيرات بفضل الحركة التجارية والعلمية بل بعض الفرق والمذاهب تبلورت أوكارها وتطورت ببلاد المغرب أكثر من المشرق. ومن بين المذاهب السُنية الذي انتشر وتطور كان المذهب الظاهري الذي عرف تراجعا ببلاد المشرق إلا أن أتباعه بالمغرب الإسلامي– الأندلس– ساهموا في إعادة إحيائه من جديد. ولكن يرجع الفضل في تطوره إلى الإمام ابن حزم الذي وجد شيوخه متأثرين بأفكار الإمام داود فأخذ على عاتقه عبء تطور المذهب ونشر أفكاره.

ويرجع تواجد الظاهرية بالمغرب والأندلس لعدة أسباب منها: الثورة على المدرسة المالكية التي جمَدت النصوص، وارتضت التقليد، كما أنها عارضت كل محاولة للاجتهاد والتجديد ذلك لقي اتباعها انتقادات حتى من اكابر المالكية أمثال ابن عبد البر (ت 463هـ/1070م) لتقصيرهم عن علم الأصول، إضافة الى اتهامهم من خالف قول فقهائهم الأول بمخالفة القرآن والسُنة ناهيك عن التفاف الناس حول كل حركة جديدة من شانها التغيير، زيادة عن الجهود التي بذلها محدثو الأندلس خاصة بقي بن مخلد وابن وضاح وقاسم بن أصبغ.[1]

أولا: ترجمة الإمام ابن حزم

1– عصره: قبل التحدث عن سيرة ابن حزم وذكر شخصيته وجب التطرق إلى عصره، ومعرفةالأحوال السياسية والعلمية لعصره والمؤثرة ومعرفة الأطوار السياسية والعلمية لعصره والمؤثرة في شخصيته، والتحدث عن البيئة التي عاش ونشأ فيها، لذلك لا بد من وصف بيئة الأندلس عامة وقرطبة[2] مدينة الإمام ابن حزم خاصة من مختلف الجوانب السياسية والحضارية.

[1] عبد الباقي سيد عبد الهادي، **الظاهرية والمالكية**، المرجع السابق، ص 47. 326.

[2] قرطبة: مدينة عظيمة في بلاد الأندلس، وحاليا تقع في اسبانيا، كانت مقر الملوك بني أمية. ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج4، المصدر السابق ، ص 326.

لقد كانت الأندلس بيئة مغايرة للمشرق العربي من حيث الإنسان والمناخ، فهناك تجانس بشري وديني إضافة إلى التنوع الاقتصادي، والتغاير الثقافي، والتميز الفقهي والسياسي الذي حظيت به الأندلس زمانا ومكانا لا مثيل له.[1]

كما أن قرطبة كانت تمثل عاصمة الأندلس ومقر الحكم الإسلامي في أوروبا. ومركز الإشعاع الثقافي.

وبخصوص الأوضاع السياسية لعصر ابن حزم الذي عاش في فترة ما بين (384-456هـ/ 994-1063م)، أي الربع الأخير من القرن الرابع هجري وبداية النصف الثاني من القرن الخامس هجري وخلال هذه الفترة ساد الاضطراب العباسي في الأندلس، وتزامنت هذه الفترة أفول نجم الخلافة الأموية، وقيام أسرة بني عامر.[2]

وما ميز هذه الفترة ثورة البربر على العامريين بقرطبة سنة 399هـ/1009م وامتدت هذه الفتنة إلى سنة 422هـ /1032م المصادف لتاريخ نهاية عهد الأمويين الذين فشلوا في استعادة وحدة البلاد وحكم الأندلس في الفترة ما بين 422-484هـ نحو عشرين أسرة مستقلة في عشرين مدينة.[3]

ورافق التدهور السياسي تدهور اقتصادي وذلك باستيلاء الطبقة الحاكمة على الأموال والثروات، حيث كانت تقوم بنهب أموال العامة وفرض الجبايات، وضرب المكوس والجزية، ووصف ابن حزم هذا الوضع:« هذا أمر امتحنا به...وهي فتنة سوء أهلكت الأديان.. منهم

---

[1] ليفي بروفنسال، **حضارة العرب في الأندلس**، تر: دوقان قرقوط، د ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.س.ط، ض 15

[2] أسرة بني عامر: أو الحجابة العامرية، كان لها شأن عظيم بالأندلس وأبرزهم الحاجب المنصور والمعتصم بالله.ينظر: ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص25. حسين مؤنس، **موسوعة تاريخ الأندلس**، ج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996، ص 349.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، د ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د.س.ط، ص 226.

الغارات على أموال المسلمين، وإباحتهم لجندهم... ضاربون للمكوس والجزية...أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام » .[1]

ومن هنا يتضح وضع الأندلس المزري الذي طغت عليه فوضى سياسية وانتشار الظلم والفساد، فهناك من أرجع عصبية ابن حزم إلى هذه الظروف السياسية بالأندلس.[2]

وبخصوص التركيبة البشرية للأندلس فكانت مزيجا من العناصر، عرب وبربر وصقالبة، بالإضافة إلى المولدين والرقيق، مسلمين وغير مسلمين، إلا أن الجامع المشترك بينهم المظهر الفكري والأدبي الموحد الذي وحدته لغة القرآن.[3]

ورغم الفوضى السياسية والاضطراب والتدهور الاقتصادي الذي عرفته الأندلس، تميزت الحياة الثقافية خلال هذه الفترة بصورة مغايرة، حيث اتسم الجانب الفكري العلمي والأدبي بالازدهار إذ تنافس الأمراء بتزيين بلاطهم بالعلماء، فقد كان الفلاح، والصانع يروي الشعر ويقرأ في فروع العلم.[4]

فقد حفل ذلك العصر بحصاد ثقافي فائق، من إنشاء المكتبات وترجمة وتنوع المصادر والمصنفات في مختلف التخصصات العلمية والأدبية.

ولقد كانت الأندلس عامة وقرطبة خاصة، ملجأ الحكماء، ومحط رحال العلماء من داخل الأندلس وخارجها، وذلك بظهور ثلة من العلماء الأجلاء، ولم يقتصروا على تخصص معين إذ برز المؤرخين، الادباء، الفلاسفة والفقهاء فكانوا أعلاما موسوعيين أمثال ابن حزم (ت 456هـ)

[1] ابن حزم، **رسائل ابن حزم**، ج3، المصدر السابق، ص 173.

[2] أنجل جنثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص 216.

[3] محمد أبو صعيليك، المرجع السابق، ص 13.

[4] عصام الدين الفقي، المرجع السابق، ص 226.

وابن عبد البر (ت 463هـ) وابن حيان (ت 469هـ)، والباجي (ت474هـ) والحميدي (ت 488هـ) وغيرهم.[1]

وأمَا عن الحالة الدينية التي ميَزت عصره، فكان المذهب المالكي هو المذهب المعمول به في الأندلس، وتعصب له أهلها وتبني السلطة الحاكمة له، ويقول ابن حزم في هذا الشأن: "مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة بالمشرق.... ومذهب مالك عندنا بالأندلس"[2].

وبهذا يمكن القول ان ابن حزم تأثر بهذه الأوضاع بشكل مباشر، وعصره عرف تناقضا، اضطراب سياسي وركود، أوضاع اقتصادية مزرية، في المقابل شهد عصره نهضة علمية وفكرية.

2-حياته الشخصية:

اسمه-نسبه وكنيته: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان ابن سفيان بن يزيد، الفارسي الأصل، اليزيدي بالولاء ، نسبة ليزيد بن أبي سفيان الأموي، وكنيته أبو محمد وشهرته ابن حزم الأندلسي.[3]

أما عن نسب ابن حزم فهناك تضارب روايات المؤرخين، فهناك من أرجع نسبه لأصل فارسي، وأن جده يزيد هو أول من أسلم من أجداده وهو مولى ليزيد بن أبي سفيان أخ معاوية، الذي ولاه أبوبكر إمرة الجيش الذي ذهب لفتح الشام[4].

---

[1] ليفي بروفنسال، **حضارة العرب في الأندلس**، تر: دوقان قرقوط، د ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.س.ط، ص 15.

[2] ابن حزم، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، ج2، المصدر السابق ،ص229.

[3] ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص488، 489. وينظر أيضا :ابن خلكان، المصدر السابق، مج3، ص 325 . الحميدي، المصدر السابق، ص308. ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص395.

[4] محمد أبو زهرة ابن حزم، المرجع السابق، ص22.

وجده خلف أول من دخل الأندلس من آبائه مع جيش موسى بن نصير عام 93هـ/711م والبعض الآخر ذكر أنه هاجر مع عبد الرحمن الداخل[1] عام138هـ/756م ،[2]

وعلى هذا فهو قرشي بالولاء، أندلسي الدار فارسي العنصر والجنس، وإنه لهذا الولاء كان يتعصب لبني أمية، يعادي من يعاديهم، ويوالي من يواليهم[3].

وأكَد ابن حزم أصله الفارسي وولائه الأموي بقوله:

أبـي ســاســان وداراوبعـدهم*** قريش العـلا أعياصـــها والعنــابس

فما أخرت حرب مراتب سؤودي*** ولو وقعت بي عن ذرى المجد فارس

وفريق آخر أرجع أصوله لأصول إسبانية وسلالة غربية . يقول ابن حيان. الذي يروي عنه ياقوت الحموي في معجمه، فقال:"وقد كان من غرائبه انتماؤه في فارس و اتباع أهل بيته في ذلك حقبة من الدهر تولى فيها أبوه الوزير المعقل في زمانه، والراجح في ميزانه أحمد بن سعيد بن حزم لبني أمية أولياء نعمة لاعن صحة ولأنه لهم عليه فقد عهده الناس خامل الأبوة مولد الأرومة، من عجم لبلة جده الأدنى حديث الإسلام لم يتقدم لسلفه نباهة"[4].

---

[1] عبد الرحمن الداخل: أول أمير أموي يحكم الأندلس وحكمها مابين 138-172هـ/756-788م. وهو عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، ولد سنة 112هـ توفي سنة 172هـ ودفن بقرطبة وسنه كان 59 سنة. ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، المصدر السابق، 160-168. ينظر أيضا: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص40-43.

[2] الحميدي، المصدر السابق، ص308. زكريا ابراهيم، **ابن حزم الأندلسي**، د ط، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ص29، عارف خليل، المرجع السابق، ص 117.

[3] ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، ط 5، دار المعارف، د.س. ط، ص5. أبو الحسن علي ابن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، مج1، تح: تحسان عباس، د ط، دار الثقافة، بيروت، 1997م، ص169.

[4] ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، المصدر السابق، ج1، ص250. ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، تح: شوقي الضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، د. س. ط، ص355. ابن بسام، المصدر السابق، ص169.

وخلاصة القول هناك تيارين أساسيين، تيار أرجع ابن حزم إلى أصول فارسية دخلت الإسلام مبكرا، وتيار أرجعه إلى أصول إسبانية مسيحية تصدره المؤرخون الإسبان واعتمدوا على ابن حيان وابن سعيد.[1]

مولده: وأمَّا عن مولده، فابن حزم على غير العلماء الذين لم يعرف وقت ميلادهم، ولكن يعرف وقب وفاتهم فالعالم خلال تلك الحقبة الزمنية، يلد مغمورا ويموت مشهورا غير أن ابن حزم على غير ذلك فعرف وقت ولادته وذلك لأنه كتب تاريخ ميلاده بنفسه في رسالة بعث بها إلى تلميذة القاضي صاعد الأندلسي، نقلها صاحب معجم الأدباء، كتب فيها: "ولدت بقرطبة في الجانب الشرقي من ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس، وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان المعظم بسنة أربع وثمانين وثلاثمائة".[2]

فمولده إذن كان بقرطبة سنة 384هـ/994م.[3]

أسرته صفاته ووفاته:

أما عن أسرة ابن حزم فهو سليل بيت عز وشرف ورئاسة، فوالده أبو عمر أحمد بن سعيد ابن حزم بن غالب الأندلسي كان من أهل الأدب والعلم. معروفا بحسن تدبيره قيل انه توفي في حدود 400هـ وقيل 402هـ.[4]

---

[1] الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام**، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م، ص403. ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج1، ص489.الحميدي، المصدر السابق ص308. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق: مج 4، ص236. الشريف محمد المنتصر بالله محمد الكتاني، **ابن حزم الظاهري**، تج: الشريف محمد حمزة الكتاني، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009، ص09. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص93.

[2] مونتغمري وات، المرجع السابق، ص41. عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ **اهل الظاهر**، ص101. انجل جونثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص213.

[3] آنجل جونثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص213.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، مج3، ص328.

أما عن أولاد ابن حزم فحسب كتب السير فله ثلاثة من الولد وهم الفضل بن علي ين أحمد ابن سعيد بن حزم، أبو رافع القرطبي توفي في معركة الزلاقة [1] سنة 479هـ[2].

- المصعب بن علي ين احمد بن سعيد بن حزم أبو سليمان القرطبي؛
- يعقوب بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أبو أسامة توفي سنة 305هـ.[3]

وعن صفاته وأخلاقه فكان يمدح ويفتخر بشخصيته فيصف نفسه ويفتخر فيها بالعلم.

أنا الشمـــس في جـــو العلـــوم منيرة *** ولـكن عـيبي أن مطـــلعـــــي الغرب

ولو أنني من جانب الشرق طالـع *** لجد على ما ضاع من ذكري النهب[4]

فهو رجل نشأ نشأة مترفة بين النواعم الشواعر، ومع ذلك كان في مزاجه من الخواشن الوعائر جمع بين الظرافة والطرافة، وبين خشونة الرأي، يخافه خصومه لسلاطة لسانه وحدة قلمه.

لكنه بأخلاقه الرائعة لا يخرج عن حدة العدل والإنصاف والوفاء والتدين[5].

ولخص صفاته محمد أبو زهرة في كتابه: "أن ابن حزم اتصف بالصفات التالية: قوة الحافظة، البديهة الحاضرة، عمق التفكير والغرض في الحقائق، الصبر الجلد، المثابرة، الإخلاص، الصراحة في الحق، الحدة والوفاء والاعتزاز بالنفس من غير عجب ولا خيلاء."[6]

- **وفاته:**

قد عرف عن الإمام ابن حزم انه صاحب جدل، ومناظرة، لذلك اصطدم مرارا بخصومه، فلا يكاد يسلم من لسانه أحد، فهو يهاجم وينقد العلماء والأئمة حتى انه وصل ان عارض حتى

---

[1] الزلاقة: وهي إحدى أراضي غرب الأندلس قرب مدينة قرطبة وقعت عليها معركة فنست إلى أرضها وكانت بين يوسف بن تاشفين المرابطي وملك الأفرنج. ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3، المصدر السابق، ص146.

[2] ابن خلكان، المصدر السابق، مج3، ص329.

[3] أبو القاسم ابن بشكوال، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، ج2، د ط، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.س.ط، ص110.

[4] ابن بسام، المصدر السابق، ص173.

[5] عبد الحليم عويس، ابن **حزم الأندلسي**، ط2، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1988، ص79-80.

[6] محمد أبو زهرة، **ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه**، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978م، ص67-74.

إمام وزعيم مذهبه داود الظاهري وهذا يبين طبيعته الحادة ومزاجه المتقلب هذا ماجر عليه محنا كثيرة، ونفر الناس منه. [1]

وبعد ما أمضى ابن حزم سنواته الأخيرة معزولا في قرية منت ليشم[2]، فتوفى ابن حزم وعمره إحدى وسبعين سنة، وتوفى عشية ليلة الأحد، ليلتين بقيتا من شهر شعبان سنة 456هـ/1064م.[3]

وذكر ابن بسام في كتابه عن وفاة ابن حزم قائلا: "كان يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه ... فينفر عنه القلوب...، حتى استهدف إلى فقهاء وقته، ...وأجمعوا على تضليله... وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه، إلى أن انتهوا به إلى منقطع أثره بتربة بلدة من بادية لبلة، وبها توفى رحمه الله سنة ست وخمسين وأربعمائة...."[4].

وكان يرثي نفسه قبل وفاته شعرا وذلك بقوله:

وكأنك بالزوارلي قـد تبـادروا*** وقيل لهـم أودى على بن أحمـد
فيا رب محزون هناك وضاحك***وكـم أدمع تذرى وخـد مخـدد
عفا الله عنى يوم أرحل طاعنـا***عن الأهل محمولا إلى ضيق ملحد
فورا حتى إن كان زادي مقدمـا***ويا نصيبي إن كنت لم أتـزود[5]

- **حياته العلمية:**

نشأ ابن حزم في نعمة وجاه، في بيئة تكتنفه مظاهر الترف والعيش، حياة مترفة شأن أبناء الوزراء ز الأمراء المتمتعين بوسائل البذخ–وذلك لكون والده أحد وزراء المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر[6].

---

[1] الذهبي، **تاريخ الإسلام**، المصدر السابق، ص408. حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص52.

[2] منت ليشم: هي قرية كانت ملكا له، وكان يتردد إليها.ينظر: ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص494.

[3] ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، المصدر السابق، ص8. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، المصدر السابق، ص408. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، مج4، ص 246.

[4] ابن بسام، المصدر السابق، ص168.

[5] ابن حزم، **ديوان الإمام ابن حزم الظاهري**، تح: صبحي رشاد، عبد الكريم، ط1 دار الصحابة للتراث، طنطا، 1990، ص96.

[6] ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، المصدر السابق، ص5.أحمد توفيق الغلبوزري، المرجع السابق، ص407.

ومع ذلك لم يشغله كل ذلك عن طلب العلم، لذلك كان يفاخر فإن العز والجاه والرئاسة صوارف عن طلب العلم لدى ابن حزم إلا أنها لم تصرفه تلك الصوارف عن مقصده الأعظم وهو علو القدر في الدنيا والآخرة.[1]

ولقد اهتم به والده منذ صباه وعهد به إلى النساء في قصره ليقمن بترتيبه وتعليمه، فكن أول من علمنه مبادئ العلوم والقرآن والشعر والأدب، ويقول في هذا الشأن ابن حزم:" ولقد شاهدت النساء، وعلمت من أسرارهن مالا يكاد يعلمه غيري لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وحين تبقل وجهي، أي كبر –وهن علمنني القرآن ورويننني كثيرا من الأشعار، ودربنني في الخط".[2]

ولم تكن النساء قوامات عليه في التعليم فقط، بل كن حريصات عليه يمنعنه من أن يقع في فتنة أحد في غرارة الصبا وحدة الشباب.[3]

بعد ذلك اختار له والده مجموعة خيرة من رجالات الإسلام وعمالقة الأدب – وهذا مما يدل عن تكوين الإمام ابن حزم فقيه الإسلام. حيث أخذ عنهم علم الحديث، الفقه، الأدب والمنطق، ومن بين هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم:

- الحسين بن علي الفاسي، الذي أثر في شخص ابن حزم وكان بمثابة المؤدب.[4]
- أحمد بن محمد سعيد بن جسور القرطبي (320-401هـ/932-1010م) سمع منه قبل 400هـ شيخه في الفقه والحديث والتاريخ روى عنه موطأ مالك والمدونة.[5]

---

[1] محمد بن شديد بن شداد الثقفي، **إلزامات ابن حزم الظاهري للفقهاء من خلال كتابه المحلي**، جامعة أم القرى، السعودية، 2001م، ص24.

[2] ابن حزم، رسائل **ابن حزم**، المصدر السابق، ص63.

[3] عارف خليل، المرجع السابق، ص188.

[4] الحميدي، المصدر السابق، ص193. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، المصدر السابق، ص 404.

[5] عبد الباقي السيد عبد الهادي، **تاريخ أهل الظاهر**، المرجع السابق، ص107

- مسعود بن سليمان بن مفلت القرطبي والمعروف بأبى الخيار (ت426هـ/1034م) شيخ ابن حزم في الفقه والحديث اخذ عنه القول بالظاهر والدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد.
- عبد الله بن محمد بن يوسف القرطبي، الشهير بابن القرطبي (ت403هـ/1012م) كان شيخا له في الفقه والتاريخ والحديث روى عنه صحيح مسلم.[1]
- محمد بن الحسن المذحجي القرطبي والمعروف بابن الكتاني (ت420هـ) شيخ ابن حزم في المنطق.[2]

إذن هؤلاء يمثلون أشهر العلماء والشيوخ الذين أخذ عنهم فلا يمكن حصر عددهم بكونه تعلم وأخذ عن الكثير في شتى العلوم.

أما عن أعمال ابن حزم والمناصب التي تولاها فالمصادر التاريخية أشارت إلى توليه الوزارة فهو منذ صغره تنشئته كانت وسط بيوت الوزراء والأمراء . إلا أن هذا لم يستمر فسرعان ما تغيرت الأحوال عقب انتهاء حكم الأسرة العامرية 399هـ/1008م وبداية عصر الفتنة وماتلاه من استيلاء البربر على قرطبة وتنكيلهم بأهلها وذلك سنة 404هـ/1013م، وهذا ما أدى بابن حزم وأسرته بالخروج عن قرطبة متنقلا من مدينة لأخرى.

ويقول ابن حزم في هذا الشأن:"وضرب الدهر ضرباته: وأجلنا عن منازلنا وتغلب علينا جند البربر. فخرجت عن قرطبة أول المحرم عام أربع وأربعمائة[3].

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، **تاريخ أهل الظاهر**، المرجع السابق، ص107-108.

[2] ابن حزم، **رسائل ابن حزم**، المصدر السابق، ص185.ابن خلكان، المصدر السابق، مج3، ص526.

[3] الذهبي، **تاريخ الإسلام**، المصدر السابق، ص404. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص93-94.

إلا أنه عاد لقرطبة أول بعد خمس سنوات فقد تولى ابن حزم الوزراء لمن تبقى من خلفاء بني أمية وكان ذلك في 409هـ/1018م، فكان أبو محمد وزير الداخلية عبد الرحمن المستظهر بالله،[1] ثم بعده وزيرا لهشام بن محمد المعتد بالله. [2]

وبعد ذلك ترك ابن حزم الوزارة وزهد في أمر السياسة وأقبل على طلب العلم، وتفرغ له، وانشغل بتصنيف الكتب.[3]

- **مصنفات ابن حزم:**

سبق وأن ذكرت ان ابن حزم ترك أمر السياسة وزهد في أمرها، وتفرغ للعلم، والتأليف وأكبَ على ذلك، وأحصى ابنه الفضل مصنفات أبيه وهي قرابة أربعمائة مجلد في نحو ثمانين ألف ورقة، وحسب المصادر والمراجع التي ترجمت له فإن مصنفاته لم تقف على علم واحد بل تنوعت وتعددت في عدة فنون، ألف كتب التفسير الحديث، التاريخ والأنساب والسير والفلسفة والأدب والشعر وغيرها.[4]

1-مصنفاته في الفقه: -سأتطرق لذكرها في العنصر القادم-.

2- مصنفاته في علوم القرآن:

- القراءات المشهورة في الأمصار الآتية مجيء التواتر
- الناسخ والنسوخ في القرآن.

---

[1] عبد الرحمن المستظهر بالله: عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، ولي الخلافة بقرطبة سنة 414هـ وقتل في نفس العام. ينظر: ابن حزم، **رسالة في فضل الأندلس**، ج2، المصدر السابق، ص201. ينظر أيضا: المقري، المصدر السابق، ج1، ص436.

[2] هشام المعتد بالله: أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، بويع بالخلافة بقرطبة سنة 418هـ، وقتل سنة 428هـ، ويعد أبو بكر آخر الخلفاء بني أمية. ينظر: ابن حزم، **رسالة في فضل الأندلس**، ج2، المصدر السابق، ص203.

[3] ياقوت الحموي، معجم **الأدباء**، ج 3، المصدر السابق، ص747. محمد أبو زهرة، ابن **حزم**، المرجع السابق، ص37. عادل عبد العزيز غيث عبد الخالق، المرجع السابق، ص5.

[4] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج18، المصدر السابق، ص181.ينظر أيضا: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، المصدر السابق، ص405. ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ص 241.

3- مصنفاته في الحديث وعلومه:

الجامع في صحيح الأحاديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها واجتلاب أكمل ألفاظها، وأصح معانيها، تراجم أبواب صحيح البخاري.

4- مصنفاته في التاريخ والنسب والسياسة:

- جوامع السيرة، أسماء الصحابة والرواة، جمهرة أنساب العرب، فضل الأندلس وذكر رجالها، نقط العروس في تواريخ الخلفاء، جمل فتوح الإسلام، أمهات الخلفاء.

5- مصنفات في الدين والعقائد والفلسفة والمنطق:

- الفصل في الأهواء والملل والنحل، التقريب لحد المنطق، النبذة الكافية في أصول لأحكام الدين، البيان عن حقيقة الإيمان، الأخلاق والسير في مداواة النفوس.
- مصنفاته في اللغة العربية وآدابها:
- طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ديوانه الشعري، قصيدته في أصول فقه الظاهرية.
- مصنفات في معارف مختلفة:

-رسالة في الطب النبوي، كتاب أسواق العرب، مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض وغيرها من الكتب ومنها المطبوعة والمفقودة.[1]

- **مذهبه الفقهي:**

لقد تعلم ابن حزم في بداياته عن النسوة، إلا أن والده جعل له رجلا تقيا يلازمه، ويجلسه في مجلس الشيوخ وهو أبو الحسين بن علي الفارسي، وخلال هذه المرحلة تلقى الحديث عن أحمد بن الجسور. ولقد أجمع معظم الذين كتبوا عن ابن حزم من مصادر ومراجع أن أبا محمد لم يشرع في تحصيل الفقه إلا في سن السادسة والعشرين، سنة 409هـ-وأشار المؤرخون لسبب تعلمه للفقه وطلبه له، فقيل أنه شهد جنازة فدخل المسجد وجلس. ولم يركع، فقال له رجل: قم

[1] ابن حزم، جمهرة **أنساب العرب**، المصدر السابق، ص8، العماد الحنبلي، المصدر السابق، ص241. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، المصدر السابق، ص405.

فصل تحية المسجد، وكان عمره إذ ذاك ستا وعشرين سنة، فقام فصلى ثم لما عاد من الجنازة دخل المسجد فأراد أن يصلي له جلس ليس ذا وقت صلاة، وكان بعد العصر، قال: "فانصرفت وقد خزيت وكفني وما هانت علي به نفسي، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلني على دارك فقيه أبي عبد الله بن دحون، قال: فقصدته، وأعلمته بما جرى فدلني على موطأ مالك فبدأت به، وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحوا من ثلاثة أعوام وبدأت بالمناظرة"[1].

ولقد شكك الإمام أبو زهرة هذه الرواية لكون أن ابن حزم تلقى الحديث في سن مبكرة عن أحمد بن الجسور فمستحيل أن يعرف رواية الحديث، ولا يعرف تحية المسجد والمعقول أن يكون طلبه للفقه وهو في السادسة عشرة من عمره[2].

فدراسته كانت في المسجد قبل بلوغه سن السادسة والعشرين بعشر سنوات، فكيف عليه أن لا يعرف هذه الأمور وهو ابن وزير ويدرس على مشايخ الحديث والفقه[3].

ونقلت المصادر التاريخية، أن ابن حزم درس الفقه المالكي السائد والمنتشر بالأندلس والمغرب، علاوة على المذهب الرسمي للدولة فمنطقيا دراسته للمذهب المالكي.[4]

وبعد إدراكه للقواعد التي يقوم عليها المذهب المالكي وجد في نفسه ميلا للمذهب الشافعي، فانتقل وهذا يرضي نزعته الفكرية ورغبته الشديدة في الانتقال الفكري، والذي أعجبه في المذهب الشافعي شدة تمسكه بالنصوص.[5]

---

[1] الذهبي، **تاريخ الإسلام**، المصدر السابق، ص412.

[2] محمد أبو زهرة، **ابن حزم**، المرجع السابق، ص31-32.

[3] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص482-483. محمد أبو صعيليك، المرجع السابق، ص20-21.

[4] عبد الحميد حسين أحمد السامرائي، **تأثير الوضع السياسي على المذهب الظاهري، ابن حزم القرطبي نموذجا**، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العدد 2، جامعة تكريت، سامراء، 2009م، ص77.

[5] محمد أبو زهرة، **ابن حزم**، المرجع السابق، ص34-35.

إلا أنه لم يلبث إلا قليلا في المذهب الشافعي بل تركه، كما تخلى الإمام داود عليه من قبل، وانصرف عنه، وانتقل إلى المذهب الظاهري الذي نهَجه، وجادل عنه وصنَف عنه مؤلفاته.[1]

وفي هذا قال عنه المقري: " وكان ابن حزم صاحب حديث وفقه وكان شافعي المذهب يناضل الفقهاء على مذهبه ثم صار ظاهريا فوضع الكتب في هذا المذهب واثبت عليه إلى أن مات ".[2]

ولقد دافع ابن حزم عن مذهبه الظاهري–والذي اقترن اسمه في حياة الناس باسم ابن حزم أكثر من اقترانه باسم داود بن علي–حتى في شعره وذلك بقوله:

ألم تراني ظاهري وأنني*** على ما بدا حتى يقوم دليل[3]

ولقد حدد أنجل بالنثيا تاريخ انتقال ابن حزم للظاهر، بقوله: "وهكذا نجده ظاهريا قبل سنة 419هـ/1029م".[4]

فما هي أبرز الأسباب التي أدت بابن حزم لاختياره للمذهب الظاهري؟

ولقد أجاب أحمد توفيق الغلبزوري في هذا والتي أرجعها لمجموعة من الأسباب والتي من بينها:

- فساد الفقه والفقهاء في الأندلس.[5]

[1] عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص103–104. عارف خليل، المرجع السابق، ص119.

[2] المقري، المصدر السابق، ج4، ص169–170. احمد أمين، المرجع السابق، ص509.

[3] ابن حزم، **ديوان ابن حزم**، المصدر السابق، ص25.

[4] انجل جثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص215.

[5] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص497.

ولعل مادفع بابن حزم للتدرج بين مختلف المذاهب الفقهية، هو أنه كان ذا جبلة تنزع إلى الثورة على الجمود، مفطور على التحرر وعدم التقليد خاصة مع كثرة المناظرات آنذاك التي كانت تقوم بين مختلف المدارس الفقهية.[1]

ويمكن القول أن ابن حزم اختار الظاهرية كمذهب له والاجتهاد فيه ليقطع الطريق على الذين تلاعبوا بالنصوص وأسرعوا في المقاييس والعلل والاستحسان مجاراة للأهواء ونصرة للباطل.[2]

كما ساعده على اختيار مذهبه شيوخه الذين أخذ منهم ومن بينهم الذين قالوا بالظاهر، لذلك أخذ ابن حزم ينتقل بين مدن الأندلس، فهو جامعة متنقلة وحتى بين مدائن الأندلس وجزائرها وقراها مثلما ذكره الكتاني في كتابه[3]– ينشر فقهه وأرائه وقد ساعده على ذلك تحكمه في اللغة وعلمه بالحكمة والفلسفة، وطرق الجدل، وهذا ما جلب إليه أتباع من كل مكان رغم تحامل فقهاء المالكية عليه.[4]

فمشروع ابن حزم يتمثل في التصحيح والتغيير فيجب أن ينطلق من الجانب الديني لذلك نادى بالاجتهاد والالتزام بظواهر النصوص، فبعد فشله في الإصلاح كوزير أراد الإصلاح بالفقه، فهو انتقل من الطموح السياسي إلى الجموح الفقهي والديني.[5]

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل اكتفى ابن حزم بالمبادئ التي اعتمد عليها إمامه داود في المذهب؟ أم أنه اجتهد وأضاف للمذهب مبادئ أخرى؟

---

[1] عبد السلام سعد، **ابن حزم بين الفلاسفة والمتكلمين**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2009م، ص51–52.

[2] عبد الحليم عويس، المرجع السابق. ص89.أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص500.

[3] الشريف محمد الكتاني، المصدر السابق، ص10.

[4] عارف خليل، المرجع السابق، ص119.

[5] عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص103. عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص89. عبد السلام سعد، المرجع السابق، ص54.

ثانيا: أصول المدرسة الحزمية الظاهرية

صحيح أن المذهب الظاهري يرجع الفضل في تأسيسه للإمام داود بن علي، وتأسيس بالمشرق إلا أنه لم يعرف انتشارا وقوة، كما عرفه هذا المذهب بالغرب الإسلامي، إذ عرف حياة قوية بالمغرب والأندلس على يد إمامه الثاني : أبي محمد ابن حزم الظاهري، الذي دافع عن المذهب، وقرر أصوله وقواعده، ويعتبر باعث الظاهرية في القرن الخامس هجري، ولولاه لكانت أصول هذا المذهب وفروعه مندثرة ونسيا منسيا.[1]

وبفضل مجهوداته جمع أفكار المذهب ودوَن مسائله وأصَل أصوله في كتبه التي يأتي في مقدمتها ديوانه الكبير في الأصول: "الإحكام في أصول الأحكام ". لقد أسس الإمام ابن حزم مذهبا قائما بذاته حل محل المذهب الظاهري الداودي رفقة أتباعه وتلامذته حيث أسس فرقة تنسب إليه، وعرفت بالحزمية، فالبعض حدد ظاهرية ابن حزم واجتهاده، بأنها منهجية لا مذهبية وسميت بالحزمية.[2]

ومعنى الظاهرية عند ابن حزم: ظاهر اللفظ من ناحية اللغة فلا يصرف اللفظ عن معناه اللغوي إلا بنص آخر أوإجماع فإن نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر أوإجماع فحكم ذلك النقل انه باطل ويعتبر تبديلا لكلام الله عز وجل[3].

وبالرغم من أن ابن حزم أضاف العديد من المسائل لمذهب داود فهذا لا يعد بأنه مستقل عن مذهب داود، فقد أثنى ابن حزم على إمامه داود وذلك بقوله: " وأما داود فكان واسع الرواية جدا جامعا للسنن غاية الجمع، ضابطا لها نهاية الضبط".[4]

---

[1] ابن بسام، المصدر السابق، ص168. ابن سعيد، المصدر السابق، ص356. المقري، المصدر السابق، ص79-81.

[2] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص92-94. آنجل بالنثيا، المرجع السابق، ص237.

[3] ابن حزم، الإحكام **في أصول الأحكام**، ج1، المصدر السابق، ص42.

[4] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص41.

أما عن الأصول التي بنى عليها ابن حزم اجتهاده الفقهي، فهي التي أكَدها في مصنفاته وتتمثل في القرآن الكريم، والسُنة والإجماع والدليل فإن لم يكن شيء من ذلك اعتمد على الاستصحاب[1].

ويقول أنه لا يحل لأحد أن يفتى ولا أن يقضي ولا أن يعمل في الدين إلا بنص قرآني، أو نص حكم صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو إجماع متيقن من أولي أمر منا لا خلاف فيه من أحد منهم"[2].

ويضيف: "الأصول التي لا يعرف شيء من الشرائع إلا فيها، وإنها أربعة وهي نص القرآن ونص كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي إنما هو عن الله تعالى ما صح عنه عليه السلام، نقل الثقات أو التواتر، وإجماع جميع علماء الأمة، أو دليل منها لا يحتمل إلا وجها واحدا".[3]

وباختصار تتمثل الأصول التي اعتمد عليها الإمام ابن حزم –أو مصادر التشريع عنده – في:

- **القرآن الكريم:** فالأخذ بظاهر الكتاب هو عماد المذهب الظاهري، الذي بدأه الإمام داود، ولقد قرَر ابن حزم الأصل الأول الآخذ بظاهر اللفظ من حيث اللغة، لأن الشرع لا يدرك إلاَ بلغة العرب، ولا يحل لأحد أن يحيل آية عن ظاهرها، ولا خبرا عن ظاهره، وذلك لان الله تعالى يقول: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾.[4]

---

[1] أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص41–42.

[2] ابن حزم، **النبذ**، المصدر السابق، ص15.

[3] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج18، المصدر السابق، ص181. ينظر أيضا: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، المصدر السابق، 405.ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ص 241.

[4] سورة الشعراء، الآية:" 195".

فمن أحال نصا عن ظاهره في اللغة بغير برهان من آخر أو إجماع فقد ادعى أن النص لا بيان فيه، وقد حرف كلام الله تعالى ووحيه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، عن موضعه، وهذا عظيم جدا مع انه لو سلم من هذه الكبائر لكان مدعيا بلا دليل، ولا يحل أن يحرف كلام أحد من الناس، فكيف كلام الله تعالى وكلام رسوله الذي هو وحي من الله تعالى"[1]،

والأخذ بظاهر النصوص يعد واجب وهو أصل الأصول، ولقد خصص الإمام ابن حزم في مصنفاته المختلفة عدة مسائل في هذا الجانب والتي خالف فيها أهل الظاهر جمهور الفقهاء في مسائل عديدة تعتمد على ظاهرة النصوص والتي من بينها:

- اعتبار العمرة فرضا كالحج [2]، واستدل "بقوله تعالى :﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[3].
- وجوب الإشهاد على البيع [4]وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾[5].

ومايمكن استخلاصه في مسألة ظاهر النصوص، والاعتماد على الكتاب، الذي اعتبره ابن حزم الأصل لهذه الشريعة، فهو الأصل للشريعة كلها. وما من لأصل إلا يرجع إليه، فيقول ابن حزم: "ولما تبين بالبراهين والمعجزات أن القرآن هو عهد الله إلينا –والذي ألزمنا الإقرار به، والعمل بما فيه –وصحَ بنقل الكافة الذي لا مجال للشك فيه أن هذا القرآن هو المكتوب في المصاحف المشهور في الآفاق كلها وجب الانقياد لما فيه فكان هو الأصل المرجوع إليه".[6]

2- **السُنة:** وهي تكون بنقل جماعة عن الرسول ﷺ، أو برواية الثقات واحدا عن واحد حتى يبلغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الشأن قال ابن حزم : "وصحَ لنا بنص القرآن

---

[1] ابن حزم، **المحلى**، ج3، المصدر السابق، ص24. أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص551.

[2] ابن حزم، **المحلى**، ج3، المصدر السابق، ص30.

[3] سورة البقرة، الآية :196.

[4] ابن حزم، **المحلى**، المصدر السابق، ص31.

[5] سورة البقرة، الآية 282.

[6] ابن حزم، **الأحكام**، ج1، المصدر السابق، ص 95.

الكريم أن الأخبار هي أحد الأصليين المرجوع إليهما عند الشارع، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ[1]﴾ [2].

3- **الإجماع:** يعتبر الإجماع عند ابن حزم، من بين المصادر التشريعية المهمة كما أنه أصلا مقطوعا به.[3]

وهو في نظره ما نقلته الأمة كلها، ووضَح ذلك بأنه لا إجماع إلا عن نص –ومن نقله عنه أن الإجماع حق مقطوع به في دين الله عز وجل واتفقنا في هذا مع أكثر المخالفين لنا.[4]

وقال أيضا:" الإجماع الذي تقوم به الحجة في الشريعة هو ما تيقن أن جميع الصحابة رضي الله عنهم قالوه ودانوا به عن نبيهم صلى الله عليه وسلم: ليس الإجماع في الدين شيئا غير هذا."[5]

4- **الدليل:** ويقصد به: الحكم في أمر ينطبق عليه ذلك المعنى المأخوذ من هذه الأصول فهو أمر مأخوذ من الإجماع أو النص[6].

ويعدُ الدليل من أهم الأصول عند ابن حزم وأهل الظاهر، واعتبره ليس خارجا من النصوص بل مأخوذا منها، ولقد روج مخالفو الظاهرية على أن أهل الظاهر أنكروا القياس، ولكن عملوا به وسموه دليلا.[7]

---

[1] سورة النساء، الآية:59.

[2] ابن حزم، **الأحكام**، ج1، المصدر السابق، ص 97.

[3] ابن حزم، **الأحكام**، ج1، المصدر السابق، ص 127.

[4] ابن حزم، **المحلى**، المصدر السابق، ج1، ص47.

[5] ابن حزم، **ملخص أبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتحليل**، تج: سعيد الأفغاني، د ط، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، 1960م، ص14.

[6] ابن حزم، **الإحكام**، ج1، المصدر السابق، ص95.

[7] أحمد توفيق الغليزوري، المرجع السابق، ص571.

ولقد وضَحه ابن حزم ورد على مخالفيه بتعصب وذلك بقوله:" ظن قوم يجهلون أن قولنا بالدليل خروج منا عن النص والإجماع وظن آخرون أن القياس والدليل واحد، فأخطأوا في ظنهم أفحش خطأ وتحق أنشاء الله يبين الدليل الذي تقول به بيانا يرفع الأشكال."[1]

وبيَن الإمام أبو زهرة معنى الدليل عند ابن حزم بذكره: لقد بيَن أن الدليل هو أمر مأخوذ من الإجماع أو النص فهو مولد منهما مفهوم بعد من دلالتهما، وليس حملا عليهما باستخراج علة إنما هو أمر يؤخذ من ذاتهما لا بالحمل عليهما وهو بهذا يخالف القياس أساسه استخراج علة من النص.[2]

وقسَم الدليل عند أهل الظاهر إلى قسمين: دليل مأخوذ من النص، ودليل مأخوذ من الإجماع، كما أن لكل قسم فروع وأقسام ولقد شرحهما الإمام ابن حزم واستدل بآيات قرآنية وأحاديث نبوية في مختلف مصنفاته.[3]

5-الاستصحاب: والمراد به عند ابن حزم بقاء الحكم المبني على النص لإبقاء مجرد الأصل، فهو مقيَد بان الأصل يجب أن يكون مبينا على النص.[4]

هذا عن أهم الأصول التي اعتمد عليها ابن حزم وبنى عليها اجتهاده.

أما بخصوص المصادر الأصولية المردودة عنده وعند أهل الظاهر فموقف ابن حزم منها:

1- إبطال القياس: وعدم الأخذ به فهو باطل في دين الله تعالى : ولايجوز الأخذ به ووضح ذلك بقوله : "لايحل الحكم بالقياس في الدين والقول به باطل مقطوع على بطلانه عند الله تعالى "[5]

واستند في نقيه للقياس على الكتاب والسُنة والإجماع، أما الكتاب، فيقول الله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[6]. كذلك قوله تعالى :﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[7]، وغيرها من الآيات والأحاديث في هذا الموضوع، من ذلك قوله ﷺ:" تفترق أمتي

---

[1] ابن حزم، **ملخص إبطال القياس**، المصدر السابق، ص24.

[2] محمد أبو زهرة، **ابن حزم**، المرجع السابق، ص358.

[3] ابن حزم، **الإحكام**. ابن حزم، المحلى. ابن حزم، **النبذ**...

[4] محمد أبو زهرة، **ابن حزم**، المرجع السابق، ص373-375.

[5] ابن حزم، **النبذ**، المصدر السابق، ص61.

[6] سورة الحجرات، الآية 1.

[7] سورة البقرة، الآية 169

على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال".

ولم يقتصر ابن حزم بأدلته من الكتاب والسنة لنفيه للقياس – بل ألف كتاب حول نفيه للقياس: "إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل".

2- رأيه في الاستحسان: تمثل رأيه فيه بعدم جواز الأخذ به في دين الله تعالى وهو باطل ويقول عنه: " ثم حدث الاستحسان في القرن الثالث وهو فتوى المفتي بما يراه حسنا فقط، وذلك باطل لأنه إتباع الهوى، وقول بلا برهان والأهواء تختلف في الاستحسان"[1]

3- رأيه في شرع من قبلنا: يرى ابن حزم عدم جواز الأخذ بشرع من قبلنا وذلك يقوله " ولا يحل للحكم بشريعة نبي قبلنا لقوله تعالى:﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[2]

4- رأيه في الاحتجاج بعمل أهل المدينة: يرى أبو محمد عدم الاحتجاج بعمل أهل المدينة وذلك بقوله:" الواجب إذا اختلف الناس أو نازع واحد في مسألة ما أن يرجع إلى القرآن، وسنة رسول الله ﷺ، لا إلى شيء غيرهما، ولا يجوز الرجوع الى عمل أهل المدينة وغيرهم"[3]

5- رأيه في التقليد: يقول في هذا المقام : "و التقليد حرام، ولا يحل لأحد أن يأخذ قول لأحد بلا برهان"[4]

6- رأيه في الأخذ بسد الذرائع: يرى ابن حزم عدم الأخذ بسد الذرائع ويقول بذلك: " فهذا يبين أنه لا يجوز التحري في اجتناب ما جاء عن الله تعالى على لسان نبيه ﷺ، وان كانت رخصة، وان كل ذلك حق وسنة.ودين، فبطل ما تعلقوا به من الاحتياط الذي لم يأت به نص ولا إجماع"[5].

---

[1] ابن حزم، **ملخص إبطال القياس**، المصدر السابق، ص50.

[2] سورة المائدة، الآية:48.

[3] محمد أبو صعليك، المرجع السابق، ص86.

[4] ابن حزم، **المحلى**، المرجع السابق، ص66. ابن حزم، **ملخص إبطال القياس**، المصدر السابق، ص71.

[5] ابن حزم، **الإحكام**، المصدر السابق، ج6، ص15-16.

7- رأيه في الأخذ بمذهب الصحابي: لا يحتج ابن حزم بمذهب الصحابي وذلك بقوله: " فصح بكل ما ذكر أنه لا يحل إتباع فتيا صاحب، ولا تابع، ولا أحد دونهم، إلا أن يوجبها نص أو إجماع."[1]

وخلاصة القول أن الإمام ابن حزم اعتمد في مدرسته على أصول وأبطل بعضها، ووافق في بعض منها جمهور الفقهاء، وخالف في أصول أخرى ويبين من ذلك أن منهاجه في فهم المنقول هو الأخذ بظاهره من غير بحث عن علل الأحكام وذلك واضح في فقهه كل الوضوح وهو لايعتمد فيما يستنبط من أحكام فقهية إلا على النصوص من الكتاب والسُنة ولا يتجاوزهما، وليس للعقل عنده مجال مطلقا وراء النصوص ووراء ظواهرها، فليس عنده اجتهاد بالرأي مطلقا.

وبهذا اشتد في الأخذ بالظاهر، ويكون بهذا قد خالف إمام أهل الظاهر الأول: الإمام داود بن علي.[2]

ودعَم ابن حزم وجهة نظره على مستوى الفقه بالأدب نثرا وشعرا، فيقول:

ألم ترى أني ظاهري وأنني *** على مابدا حتى يقوم الدليل

ثالثا: انتشار المذهب الظاهري

1- في عهد الإمام ابن حزم:

يعدُ الإمام ابن حزم صاحب الفضل الأكبر في تأسيس المدرسة الظاهرية – الحزمية- في الأندلس وتحديدا شرق الأندلس فلولاه لاندثر أصول الفقه الظاهري وفروعه.

ورغم المضايقات الكثيرة التي شنها الفقهاء، المالكية – وتأليبهم لأمراء الطوائف عليه إلا أنه تمكن من نشر فقهه ومذهبه في اغلب بلاد الأندلس[3].

ورغم المحن التي واجهها في قرطبة هو وأسرته كان ينتقل من شرق قرطبة إلى غربها، وإنما انتقل خارج الأندلس أيضا كالقيروان، ومعظم رحلاته كانت إجبارية، ويقول ابن حزم في ذلك:" أنت تعلم أن ذهني وبالي مضطرب بما نحن فيه من بنو الديار والجلاء عن الأوطان،

---

[1] ابن حزم، **الإحكام**، المصدر السابق، ج6، ص18.

[2] عارف خليل، المرجع السابق، ص110.

[3] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص87.عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص7.

وتغير الزمان، ونكبات السلطات، وتغير الإخوان وفساد الأحوال، وتبدل الأيام، والغربة في البلاد وذهاب المال والجاه... واليأس عن الرجوع إلى موضع الأهل "[1].

فانتقل ابن حزم إذن بين مختلف مدائن الأندلس وجزائرها وقراها قهرا [2]. كما انتقل كذلك إلى مدينة القيروان بالمغرب وأحد أهم حواضرها آنذاك.

وناقش علمائها وناقشوه، ويقول في انتقاله للقيروان :" ولقد سألني يوما أبو عبد الله محمد بن كليب من أهل القيروان أيام كوني بالمدينة، وكان طويل اللسان جدا مثقفا للسؤال في كل فن".[3]

واتخذ أبو محمد عدة وسائل لتثبيت مذهبه ولانتشاره وتتمثل هذه الوسائل في:

1- مؤلفاته ومصنفاته

2- تلامذته وأتباعه

3- مناظراته الفقهية.

1- مصنفات الإمام ابن حزم: الوسيلة الأولى التي اتخذها الإمام ابن حزم كمشروع لتجديد مذهبه ولخدمة مشروعه الإصلاحي ولمواجهة المذهب المالكي فقد تمثلت في: التأليف والتصنيف، حيث صنَف في مختلف العلوم والفنون، وكتبا ورسائل، فألف في الفقه، والحديث، والملل والنحل، والمنطق، والتاريخ والفلسفة، والشعر والأدب وغيرها من الفنون، ولقد أحصى ابنه الفضل مؤلفاته فإذا هي قرابة أربعمائة مجلد في نحو ثمانين ألف ورقة [4]. وهذا إن دل فإنه يدل على سعة علمه.[5]

وسأكتفي بذكر أشهر مؤلفاته الفقهية، فهو ترك آثارا كبيرة في مجال الفقه وأصوله، ومن أبرزها: كتاب الإحكام في أصول الأحكام، أورد فيه أفكاره وآراؤه الفقهية الأصولية التي بنى عليها مذهبه الظاهري[6].

---

[1] ابن حزم، **طوق الحمامة**، المصدر السابق، ص154.

[2] الشريف محمد الكتاني، المصدر السابق، ص10.

[3] ابن حزم، طوق **الحمامة**، المصدر السابق، ص46.

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص94.

[5] الذهبي، **تاريخ الإسلام**، المصدر السابق، ص 405. أحمد أمين، المرجع السابق، ص509.

[6] الذهبي، **تاريخ الإسلام**، المصدر السابق، ص405. أحمد أمين، المرجع السابق، ص509.

ومن مصنفاته الفقهية أيضا كتاب المحلى في شرح المجلى بالحجج الآثار، وهو أشهر كتبه ويعتبر موسوعة فقهية بيَن فيها آراؤه الفقهية وفق مذهبه الظاهري، محتجَا بالآثار والأحاديث النبوية.[1]

كما له في الفقه إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد، يعرض فيه ابن حزم ضعف هذه الأصول التي اتبعها بعض المذاهب الإسلامية، ويبيَن فيه الحجج في إبطال القياس والتقليد والتعليل.[2]

ومن مصنفاته الفقهية أيضا، كتاب الإيصال في شرح الخصال الجامعة لحمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسُنة والإجماع. يقع في أربعين مجلد في خمسة عشرة ألف ورقة، أورد فيه أبو محمد أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه والحجة لكل طائفة، وعليها الأحاديث الواردة في ذلك من الصحيح.[3]

كما أَلَف كتاب النبذة الكافية في أحكام أصول الدين، وهو مختصر للإحكام ويعرض فيه وجهة نظره في بعض مصادر التشريع الإسلامي بأدلة معتبرة[4]. ومن مصنفاته كذلك رسالة ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل، ومن كتبه أيضا مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، تحدث فيه عن المسائل الفقهية التي صحَ فيها الإجماع بين العلماء والمسائل التي وقع فيها الخلاف بينهم،[5] وغيرها من الكتب الفقهية، وهناك كتب لازالت مفقودة في بطون مكتبات العالم[6].

واتسمت معظم مؤلفات ابن حزم بأنها كتب جدلية طغت عليها العبارات والأساليب العنيفة في نقد خصومه، وهذا ما أدى بأحد المؤرخين إلى القول بأن: لسان ابن حزم وسيف الحجاج كانا شقيقين[7].

---

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ **أهل الظاهر**، المرجع السابق، ص129.

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ **أهل الظاهر**، المرجع السابق، ص129. إسماعيل مصطفى اليوسف، المرجع السابق، ص63.

[3] ابن حزم، **ملخص إبطال القياس**، المصدر السابق، ص115.

[4] الحميدي، المصدر السابق، ص450. ابن بسام، المصدر السابق، ص169.

[5] الذهبي، **تاريخ لإسلام**، المصدر السابق، ص405-406.

[6] عبد الباقي السيد عبد الهادي، **تاريخ أهل الظاهر**، المرجع السابق، ص130.

[7] زكريا إبراهيم، المرجع السابق، ص41-42.

2- تلاميذ ابن حزم: ثاني الوسائل التي اعتمد عليها، تمثلت في تنشئة طلابه وتلامذته على منهجه ومشروعه الإصلاحي، رغم المضايقات التي فرضت عليه من قبل الفقهاء والسلطان. زيادة على إحراق كتبه بأمر من ملك اشبيلية المعتضد بن عباد المساند لفقهاء المالكية المتعصبين إلا انه واصل مشروعه ونشر علمه وفقهه أينما حلَ وارتحل فذاع صيته وأقبل عليه طلاب العلم ينهلون من معارفه، وكان أوائل من اخذ عنه: أبناؤه وركزت المصادر على ذكر ابنه أبو رافع الفضل[1]، ومن بين تلاميذه كذلك:

- صاعد بن احمد بن عبد الرحمن أبو القاسم الجياني الأندلسي القاضي، من كتبه طبقات الأمم.[2] ومقالات أهل الملل والنحل وغيرها، وتوفي سنة 462هـ. [3]
- عمر بن حيان بن خلف بن حيان، ابو القاسم القرطبي، من أهل النبل الحفظ والفصاحة الكاملة، توفي سنة474هـ. [4]
- محمد بن أبي نصرين عبد الله أبو عبد الله الأزدي الحميدي، صاحب جذوة المقتبس، أكثر الرواية عن ابن حزم، شهر بصحبته، نشر علمه بالمشرق وعنه أخذ الفقه الظاهري، توفي سنة 488هـ.[5]
- عبد الله بن محمد بن عبدالله بن العربي[6]، والد ابي بكر بن العربي القاضي المالكي (ت543هـ)، صحب ابن حزم وأكثر السماع عنه توفي سنة 493هـ.[7]
- أبوبكر عبد الباقي بن محمد بن سعيد بن بريال الأنصاري، أخذ عن ابن حزم، العالم الورع توفي سنة 502هـ/1108م.[8]

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص95.

[2] ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص489. المقري، المصدر السابق، ج2، ص83.

[3] الضبي، المصدر السابق، ص311.

[4] عبد الباقي، السيد عبد الهادي، **تاريخ أهل الظاهر**، المرجع السابق، 109.

[5] ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص489. الذهبي، المصدر السابق، ج19، ص120. ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، المصدر السابق، ص07.

[6] أبو بكر بن العربي: محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي المعارفي، قاضي اشبيلية من الأندلس، من كتبه: المسالك والعواصم بين القواصم وغيرها، توفي سنة 543هـ. ينظر: محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص136.

[7] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج19، المصدر السابق، ص130.

[8] الضبي، المصدر السابق، ص117

• أبوبكر محمد بن الوليد بن محمد الفهري الطرطوشي الشهير بابن رندقة الفقيه الحافظ، أخذ الفقه عن ابن حزم، توفي سنة 520هـ/1126م[1].

3- مناظرات ابن حزم الفقهية:

بينما الوسيلة الثالثة التي اعتمد عليها ابن حزم في نشر فقهه فهي مناظراته الفقهية ومساجلاته والتي وقعت جلها ضد خصومه فقهاء المالكية.

و أشهر مناظراته التي ذكرتها المصادر التاريخية هي التي كانت بينه وبين ابي الوليد سليمان الباجي[2]، بحيث لما ذاع صيت ابن حزم وانتصاره بمناظراته ضد فقهاء المالكية كمناظرته لابن البارية الميورقي، والقاضي أبو عبد الله بن عوف[3]، ولقد ساعد ابن حزم في هذا والي ميورقة ابن رشيق الذي أتاح له فرصة نشر أرائه، فبعد انتشار أراء ابن حزم الفكرية بين أوساط الناس وتمكنه من استخدام طرق الجدل والمناظرة.[4]

فقام أحد فقهاء ميورقة محمد بن سعيد يطلب معونة أبي الوليد الباجي فنزل هذا الأخير عند رغبة ابن سعيد، وبعد عودته من الشرق، لاحظ الباجي ضعف فقهاء الأندلس، وعدم قدرتهم على مجاراة ابن حزم ونقل القاضي عياض موقف الباجي بقوله: " وجد عند وروده بالأندلس لابن حزم الداودي صيتا عاليا، وظاهريات مذكرة، وكان لكلامه طلاوة، وقد أخذت قلوب الناس، وله تصرف في فنون تقصر عنها ألسنة فقهاء الأندلس في ذلك الوقت، لقلة استعمالهم النظر، وعدم تحققهم به، فلم يكن يقوم أحد بمناظرته فعلا بذلك شأنه، وسلموا الكلام له على اعترافهم بتخليطه فحادوا عن مكالمته حتى صار ابن حزم شيخ ميورقة ورأس أهلها".[5]

واتفق ابن العربي مع القاضي عياض حول الانتشار مذهب وفكر ابن حزم بقوله:" إن ابن حزم كان بين أقوام لا نظر لهم إلا المسائل فإن طالبهم بالدليل كاعوا، فتضاحك مع أصحابه

---

[1] الضبي، المصدر السابق، ص117. ابن خلكان، المصدر السابق، مج4، ص262.

[2] أبو الوليد الباجي: سليمان بن خلف الباجي الفقيه الأديب الشاعر، ولد سنة 403هـ من كتبه التسديد إلى معرفة التوحيد، وكتاب شرح الموطأ وغيرهم، توفي سنة 474هـ. ينظر: المقري، المصدر السابق، مج2، ص67-77.

[3] عادل عبد العزيز، المرجع السابق، ص13.

[4] ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص523.

[5] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص805.

منهم".[1] نزل الإمام الباجي جزيرة ميورقة بداية من سنة 440هـ/1048م وتزامن ذلك مع وفاة والي ميورقة أحمد بن رشيق أكبر سند لابن حزم على خصومه.

وهذا مكّن لخصومه بمساعدة الإمام الباجي من التغلب عليه، يقول ابن الآبار:" وقد تحالف أبو الوليد الباجي مع العالم الميورقي المتكلم محمد بن سعيد الميورقي وتضافرا عليه–وناظراه فأفحماه وأخرجاه من ميورقة"[2].

وهناك من شكّك في انتصار الباجي على ابن حزم فيقول الإمام أبو زهرة: "وعندي أنه ماكان الانتصار بالحجة والبرهان بل كان بقوة السلطان فما أفلح عليه بحجة ولكن ذهب المناصر فتظاهر الفقهاء عليه وألّبوا عليه السلطان وخرج من ميورقة لا مغلوبا في حجاج، ولكن قد فقد البصر المؤيد، ولم يكن بعد الانتصار للحجة، بل صار الانتصار لمن هو أكثر عددا وأعز نفرا".[3]

ولقد روي عن الحوار الذي جرى بين ابن حزم والباجي فقيل: لأنه جرت بينهما مناظرة، فلما انقضت قال الفقيه أبوالوليد، تعذرني فإن أكثر مطالعتي كانت على سرج الحراس فقال ابن حزم: تعذرني فإن أكثر مطالعتي كانت على منابر الذهب والفضة فأراد أن أضيع لطلب العلم من الفقر..."[4].

ورغم هذه المناظرة فابن حزم كان يشيد بمنزلة الباجي وبإمامته في المذهب المالكي وذلك بقوله: "لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب مثل أبي الوليد الباجي".[5]

وبخروج ابن حزم عن ميورقة ازداد أذى فقهاء المالكية له وحذروا منه الملوك والأمراء، والسبب الظاهري في ذلك حسب الإمام أبو زهرة هو بتهمة انه يهاجم الإمام مالك والأئمة الأربعة ويسفه أقوامهم.[6]

فأحرقت كتب ابن حزم لتستخلص من أرائه لأنه كان يدعو لوحده الأندلس تحت راية الأمويين، ويصف ابن حزم حادثة إحراق كتبه ومحنته وغربته شعرا بقوله:

---

[1] أبو بكر بن محمد ابن العربي، **العواصم من القواصم**، ج2، منشورات مطبعة عبد الحميد، الجزائر، 1928م، ص67-68.

[2] ابن الآبار، المصدر السابق، ج1، ص391.

[3] محمد أبو زهرة، **ابن حزم**، المرجع السابق، ص46.

[4] المقري، المصدر السابق، ج1، ص77. ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ص1652.

[5] ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص96.

[6] محمد أبو زهرة، **ابن حزم**، المرجع السابق، ص49.

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي*** تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي *** وينزل إن أنزل ويدفن في قبري[1]

2-المذهب الظاهري بعد ابن حزم:

مما سبق نلاحظ تنوع الوسائل في انتشار المذهب الظاهري من تصنيف وأتباع ومناظرات، لذلك ضل المذهب الظاهري راسخا حتى بعد وفاة الإمام ابن حزم، فقد انتقل تلاميذه من محدثين وفقهاء للمغرب وحتى للمشرق الإسلامي. وبذلك أصبح المذهب الحزمي حركة فكرية كبرى دافع عنها أنصارها حتى بداية العصر الموحدي[2].

والذي أصبح بحق عصر ازدهار المذهب الظاهري وذلك بقيام الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي[3] 580هـ/1184-1195م يحمَل الناس في المغرب والأندلس على الأخذ بمذهب أهل الظاهر وترك التمذهب بمذهب مالك، الذي وصل به الأمر لحرق كتب الفروع كمدونة سحنون[4]، فانتشر المذهب الظاهري إذن في مختلف أقطار الدولة الإسلامية بعد وفاة ابن حزم، فقام أنصاره وطلبته بنشر مبادئه في شتى الأقاليم شرقها وغربها.

ويمكن القول أنه لم يكتب للمذهب الظاهري انتشار كبير في حياة ابن حزم، إلا أن دوام الحال من المحال، فعرف المذهب وانتشر بالمغرب والمشرق أكثر بعد وفاته.[5]

وصف أبو محمد جهل أهله لمقامه بينهم حيث كتب رثاءه بنفسه، فقال: آن للمذهب أن يصل إلى شدة الحكم ولكن طريق القوة ليس الإقناع والإبداع فقد صار ارتباط المذاهب الفقهية بالسيوف والعروش أكثر من ارتباطهما بالحجة والإقناع – وأضاف لقوله: لقد قرأت في الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال لا يفقد النبي حرمته إلا في بلده وقد تيقنا ذلك بما لقي النبي عليه السلام من قريش[6].

---

[1] ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص171، ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص356.

[2] العصر الموحدي: دولة قامت ببلاد المغرب بين 541-668هـ/ 1146-1269م وأمتت للأندلس. ينظر: أحمد الناصر السلاوي، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج1، د ط، د. د .ن، د. م. ن ، د. س. ط، ص130.

[3] يعقوب بن يوسف الموحدي: يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي الظاهري(595هـ) الفقيه والمكنى أبو يوسف. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص245.

[4] السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص145. ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص523.

[5] حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص95.

[6] محمد أبو زهرة، ابن حزم، المرجع السابق، ص516.

ومن بين تلاميذه الذين ساهموا في نشر المذهب بعده أبو عبد الله محمد الحميدي (420-488هـ)، سبق ذكره إذ بعد هروبه من الأندلس اخذ بنشر علم أستاذه وينشر مدوناته.[1]

أيضا منهم أبو الفضل محمد الطاهر المقدسي الذي دعا للظاهر بالمشرق إضافة الى أبو الخطاب مجد الدين بن عمر بن الحسن والمكنى بابي الخطاب ابن دحيه، انتقل للمغرب ومصر توفي سنة 633هـ.

ولقد نقل انجل بالنثيا عن انتشار المذهب الظاهري الحزمي بقوله:" من بين رجال المدرسة الحزمية الذين أخذوا عن ابن حزم مباشرة". صاعد الطليطلي، والفقيه المحدث ابن عبد البر، وأبا النجاة سالم بن احمد بن فتح القرطبي(461هـ/1068م) ...، والحميدي، وشريح بن محمد الرعينيي (451هـ/539هـ-1144م)، وأبا محمد بن العربي[2]، كما نقل انتشار المذهب وانتقاله للمشرق والمغرب فأضاف " انتقل مذهب ابن حزم للمشرق وذاع بين أهله". أما في المغرب والأندلس فإننا نجد طائفة كبيرة من المؤلفين حملت مؤلفاتهم طابع المذهب الحزمي ومن أولئك: محمد الأنصاري الحوذي، وأبو بكر بن باشر الأنصاري، وخضر بن محمد بن نمر التجيبي وغيرهم.... ومن أتباع المذهب الحزمي أو الآخذ بناحية منه محي الدين بن عربي والفيلسوف ابن رشد..." [3]

ومما سبق نستنتج ان آخر القرن السادس وأول القرن السابع هجريين يمثل عصر ازدهار المذهب الظاهري، وعمَم العمل به بالمغرب والأندلس وبالمشرق.

[1] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 350.

[2] أنجل بالنثيا، المرجع السابق، ص237.

[3] نفسه، ص238.

الفصل الثالث

أثر المذهب الظاهري ببلاد

المغرب الإسلامي وانحساره

أولا: أثر المذهب الظاهري

ثانيا: انحسار المذهب الظاهري

أولا: أثر المذهب الظاهري

لقد أعاد الإمام ابن حزم مجد المذهب الظاهري، الذي اندثر، رغم الجهود الكثيرة التي بذلها خصومه بين حكام وفقهاء من خلال إحراق كتبه وإقصائه عن الملوك وتبغيضه عن العامة[1]، فحمل العبء إذن وحده لخدمة المذهب، الذي وضع أصوله ودونَه في كتبه المتنوعة، وضل يدعو لمذهبه، إلا أن حدة قوله أثارت عليه حدة الحاسدين، كما أنه استطاع أن يبذر بذوره في قلوب الشباب، الذين كانوا يفدون إليه لطلب العلم وبعدها أخلصوا لفكره، وكان لهم بعد ابن حزم الأثر الواضح في جمع كتبه، وتوضيح آرائه.[2]

فتأثيره كبير في نظرة الأندلس الفكرية فأثر الظاهرية لم يكن بعد وفاة الإمام ابن حزم وإنما في حياته، حيث أثَر في تفكير الناس إذ أنه نشر آراؤه في كل أماكن الأندلس، وبعد وفاته أثَر كذلك في العامة وهذا بفضل تلاميذ – مثل ما تقدم–، على غرار الحميدي، وابن دحية، إلاَ أن الأثر الكبير لابن حزم، كان بالمغرب أيام دولة الموحدين ورغم اختلاف المؤرخين حول مذهب الدولة إلا أنهم اتفقوا على أن شخصية يعقوب المنصور بن يوسف الذي عمَم العمل بالمذهب الظاهري وأظهره، وأكَد ذلك المراكشي في كتابه بقوله انه دعا – أي يعقوب المنصور – إلى السُنة وإلى ترك التمذهب بمذهب مالك والعمل على الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله لا إلى شيء سواهما، بل انه حرق كتب الفروع ويقول: " في أيامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من أحاديث رسول الله ﷺ والقرآن، فأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد ومختصره....."[3]

وحقيقة الأخذ بالظاهر المسيطرة على الدولة الموحدية كانت قبل يعقوب بن يوسف فقد كانت رأي أبيه وجده، بل يعد منهاج من دعا إلى دولتهم وهو المهدي بن تومرت.[4]

---

[1] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص346.

[2] محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب**، المرجع السابق، ص554–555.

[3] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص201.

[4] المهدي بن تومرت: أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت والمعروف بالمهدي الهرغي، صاحب دعوة عند المؤمن بن علي بالمغرب – فهو صاحب دعوة الموحدين ولد سنة 485هـ وتوفي سنة 524هـ –عام البحيرة –. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج5، ص45، وينظر أيضا: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966 م، ص3–4.

فما هي أبرز دوافع اختيار الموحدين للمذهب الظاهري وكيف اثَر المذهب الظاهري على الجانب العلمي؟

1- الدولة الموحدية والمذهب الظاهري "من ظاهرية الفكرة إلى ظاهرية الدولة":

قبل التحدث عن دور المنصور واعتماده على المذهب الظاهري، والتي ذكرتها مختلف المصادر والمراجع التاريخية القديمة والحديثة، إلا أن فكرة الأخذ بالكتاب والسُنة عند أصحاب هذه الدولة يعود إلى مؤسسي الدولة الأوائل لا بد من تحديد أهم الدوافع التي كانت وراء الموحدين من اختيار المذهب الظاهري مذهبا رسميا سأقتصر على ذكر بعض الأسباب التي تتمثل في:

- إعجاب المهدي ابن تومرت-مؤسس الدولة بابن حزم، وتأثره به في عدة مسائل، كقوله أن الشريعة لا تثبت بالعقل، وانحصار أصولها في القرآن الكريم والسنة النبوية[1]. وسار على طريقة كل حكام الدولة الموحدية.[2]

- مذهب مالك هو المذهب الرسمي لدولة المرابطين،[3] والتي عانى المهدي بن تومرت مع فقهائها الأمرين، فهو لم ينسى ما تعرض له في مراكش[4]، حتى وصل الأمر بالأمر بقتله، لذلك أراد تغيير المذهب المالكي للمذهب الظاهري أكثر المذاهب المعارضة له.[5]

تلقى ابن تومرت أصول المذهب الظاهري في قرطبة على يد أحد المهتمين بالفقه الظاهري وهو الطرطوشي والمهتم بمصنفات ابن حزم[6]، وغيرها من الدوافع.

---

[1]محمد بن تومرت، **أعز ما يطلب**، تح: عمار طالب، د ط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص163-173.أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص622.

[2]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص141.

[3]المرابطين: هي إحدى الدول الإسلامية التي ظهرت بالمغرب الإسلامي وامتدت للأندلس وظهرت مابين 448-541هـ/1056-1147م. القبائل التي أنشأتها هي قبائل صنهاجة المغربية أي أول دولة بربرية . ينظر: أبو الحسن علي ابن عبد الله بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبارملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، د ط، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972 م، ص119.

[4]مراكش: إحدى حواضر بلاد المغرب أسسها يوسف بن تاشفين، سنة 459 هـ واتخذها عاصمة. ينظر: الحسن بن محمد الوزان ، وصف إفريقيا، ج1 ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1983م ، ص126.

[5]أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص65-66.

[6]أبو محمد حسن ابي القطان، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي ط 2، دار الغرب الإسلامي، د. م. ن، 1980 م، ص 73 .

فيمكن القول أن المهدي بن تومرت يعد أول من بذر هذه البذرة الظاهرية وخرجت من عالم القول إلى عالم الفعل، ومن ظاهرية الفكرة إلى ظاهرية الدولة.[1]

وعن المصادر والمراجع التي أكدت بظاهرية المهدي، الونشريسي وذلك بذكره: " ...ومنه ما أحدثه المهدي الظاهري محمد بن تومرت ... من إعادة الدعاء بعد الصلاة..." [2] كذلك صرح صاحب بيوتات فاس بظاهريته وأيد موقف الونشريسي وذلك بقوله :" أن ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم، تابعين للمهدي رئيسهم الأول القائل باعتقاده الفاسد بإنكار الرأي في الفروع الفقهية والعمل على محض الظاهرية....[3]

كما ذهب في نفس هذا الاتجاه – أي القول بظاهرية المهدي بن تومرت ودولة الموحدين. مجموعة من المراجع الحديثة، ومن ذلك قول المنوني: " الواقع مسألة الظاهرية ليست آتية من عبد المؤمن ثم يوسف فقط، وإنما منشؤها الأصلي من ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية".[4]

وأيده أيضا انجل بالنثيا الذي قال في هذا الشأن:" وقد مال محمد بن تومرت مهدي الموحدين إلى المذهب ابن حزم، إذ وجد فيه ما يؤيد دعوته، ووصل نفر من فقهاء الحزمية إلى كبار المناصب...."[5].

إلا انه هناك من الباحثين من فند ونفى تأثر المهدي بالفكر الحزمي، وذكروا أن المهدي نشأ مالكيا وعاش مالكيا. وقالوا انه لم يكن معاديا لمذهب مالك فهو سار وفق نهجه وأصوله واستدلوا باهتمامه. بموطأ مالك واختصاره له في كتابه "محاذي الموطأ" كما اعتمد على أصل من أصول مالك وهو عمل أهل المدينة وكتابه أعز ما يطلب، فهو حسب رأيهم– لم يعارض مالك بل كان مناهضا لفقهاء الفروع من المالكية.[6]

وانتقد الغلبزوري الباحثين الذين أقروا بمالكية المهدي في كتابه بقوله: " ما قول هؤلاء الباحثين في نفي المهدي أن أبي تومرت للقياس الأصولي وهو أصل عند المالكية – وفي

---

[1] أحمد توفيق الغلبروزي، المرجع السابق، ص624. آنجل بالنثيا، المرجع السابق، ص238.

[2] الوشريسي، المصدر السابق، ص361.

[3] إسماعيل بن الأحمر، **بيوتات فاس الكبرى**، د ط، دار المنصور للطباعة، الرباط، م1972، ص19.

[4] محمد المنوني، **حضارة الموحدين**، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1980 م ،ص37.

[5] آنجل بالنثيا، المرجع السابق، ص238.

[6] توفيق احمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص628.

تقارب فقهه الشديد مع فقه ابن حزم وأمره بإحراق كتب المالكية أليس في هذا دليل العداء للمذهب المالكي، ومحاولة محوه وإزالته من المغرب؟[1]

ويضيف :" أما قوله بعمل المدينة موافقا في ذلك مالكا , فالمعروف أن مذهب ابن تومرت مذهب تلفيقي انتقائي بجمع بين رأي الاشاعرة،[2] والمعتزلة[3]، والشيعة والخوارج والظاهرية، فلا نستغرب وجود أصل من أصول المالكية في مذهبه الفقهي، ولكن الحكم للغالب الذي هو أصول الظاهرية وفقههم وهو الجانب الطاغي على فقهه وفكره." [4]

ولقد ترك المهدي عدة رسائل تدل على فكره الظاهري من خلال تعرضه لعدة مسائل أصولية في كتابه اعز ما يطلب فالمطلع على هذا الكتاب يتضح له اثر الفكر الظاهري عليه، فهو عبارة عن دعوة للعودة إلى الكتاب والسنة، بحيث بوب كتابه وافني في كل مسألة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.[5]

وبعد وفاة المهدي بن تومرت سنة 524هـ تولى الأمر تلميذه عبد المؤمن بن علي[6]،(487-556/1094-1163م) والذي بويع سرا سنة 524هـ، والبيعة العامة سنة 425هـ،استطاع عبد المؤمن بن علي من توطيد دعائم الدعوة الموحدية.

لقد ساهم عبد المؤمن بن علي في تجديد الفقه وإصلاحه، وقام إنشاء مدرسته في مراكش لتخريج العلماء ورجال الدولة على المنهج الذي يريده وذلك بهدف إضعاف نفوذ مذهب مالك وفي ذلك تقول صاحب الحلل الموشية:" وكان يدخلهم – أي الحفاظ – كل يوم جمعة بعد

---

[1]توفيق احمد الغلبزوري، المرجع السابق، ص629.

[2] الاشاعرة: الاشعرية أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، كان معتزليا لديهم عدة مبادئ: الله لا يشبهه شيء. وصفات الله قائمة بذاته.... ينظر: عبد المنعم الحفني، **موسوعة الفرق والجماعات ولمذاهب الإسلامية**، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1993، ص51..

[3]المعتزلة : ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية وأصول مذهبهم: التوحيد، العدل والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزليين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ينظر: ابن حزم، فصل في الملل، المصدر السابق، ج2، ص269. وينظر أيضا: عبد المنعم الحفني، المرجع السابق، ص358.

[4]أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص429.

[5]ابن تومرت، المصدر السابق، ص313-376. عبد الباقي السيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص49.

[6]عبد المؤمن بن علي: عبد المؤمن بن علي بن مخلوف، أبو محمد الكرمي، ولد بمدينة ندرومة. قرب تلمسان، واختلف في تاريخ ولادته (487 وقيل 490هـ)، صاحب المغرب، المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية، توفي سنة558هـ.ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج4، ص237-239. ينظر أيضا: الزركشي، المصدر السابق، ص107.

صلاة داخل القصر، فيجتمع الحفاظ فيه، وهم نحو ثلاثة آلاف... قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريده..."[1]. كما قلد العلماء مناصب هامة في الدولة، كما انه كان يعقد المناظرات بين المالكية والظاهرية نصرة للمنهج الظاهري تمهيدا لفرصة واتخاذه منهجا رسميا لدولة الموحدين حتى انه كان تناظر المالكية ويستخدم حجج ابن حزم في المناظرة[2].

إضافة لذلك، فبعد ما استتب له الأمر بالمغرب والأندلس، رد الناس إلى كتب الحديث واستنباط الأحكام بين ظاهرها، والأمر بإحراق كتب الفروع. ونبذ التقليد وإلزام العلماء بالاجتهاد[3]. ولقد أمر بقراءة الحديث إلى جميع الطلبة المغرب والعدوة.[4]

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أيضا أن عبد المؤمن بن علي سار على نهج معلمه ابن تومرت في اعتماده على الفكر الظاهري الحزمي إلا انه لم يمكن من تطبيقه بصفة شاملة، وهذا راجع لفتوة الدولة ولم يتم ذلك إلا في فترة حفيده يعقوب المنصور الموحدي.[5]

وبعد وفاة عبد المؤمن بن علي سنة 558هـ/1163م، خلفه على الحكم ابنه يوسف بن عبد المؤمن[6]. الذي حرص على التمكين للمنهج الظاهري فقد منع فقهاء المالكية من تعليم الناس الفقه الفروعي، ودعاهم إلى استخدام القرآن، والسنة في استنباط الأحكام، وخيرهم بين ذلك وبين السيف.[7] فأبو يعقوب كان يميل إلى الظاهرية الحزمية كأبيه.

ولقد أكد عبد الواحد المراكشي ظاهرية يوسف بن عبد المؤمن، فقد ذكر ان يوسف كان يهدف ويحرص على حمل الناس على القول بالظاهر، ومحو مذهب مالك، فقد لجأ الى المناظرات لتحقيق ذلك ومنها ما وقع بينه وبين أبي بكر بن الجد– الفقيه المالكي – حول

---

[1] مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح : سهيل زكار وآخرون، د ط، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979 م، ص150–151.

[2] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص183. عبد الباقي السيد عبد الهادي، **تاريخ أهل الظاهر**، المرجع السابق، ص57

[3] أحمد بن خالد الناصر السلاوي. المصدر السابق، ص150.

[4] حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ط1، مكتبة الخانجي، مصر 1980، ص460.

[5] السلاوي، المصدر السابق، ص180–181.

[6] يوسف بن عبد المؤمن بن علي: أبو يعقوب الورع الحافظ المحدث، توفي سنة580هـ/1184م، حكم مدة 22عاما.ينظر الزركشي، المصدر السابق، ص13. وينظر أيضا: السلاوي، المصدر السابق، ص159.مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 157 .

[7] عبد الباقي السيد عبد الهادي، **تاريخ أهل الظاهر**، المرجع السابق، ص61.

كتاب ابن يونس المالكي وما فيه من أقوال متعددة وآراء مختلفة، وانتهى الأمر بقوله لابن الجد ليس إلا المصحف وسنن أبي داود –إشارة إلى كتب الحديث.[1]

ومن الأدلة على ظاهريته أيضا انه كان يرسل للقضاة الرسائل وفيها أصول الحكم وهي القرآن، والسنة والإجماع.[2]

لقد حرص إذن أبو يعقوب على حمل الناس على الظاهر ولو بالقوة إلا أن الزمن لم يمهله لتنفيذ ذلك وهذا الاستشهاد في موقعه "شنترين" إلا انه نفذ الأمر من بعده ابنه يعقوب وحمل الناس على الظاهر بقوة السلطان.[3]

تولى حكم الموحدين أبو يوسف يعقوب المنصور بعد وفاة والده، وعمره خمسة وعشرين سنة، وصف عصره بالعصر الذهبي، نظرا لأعماله الكبيرة، خاصة انتصاره في معركة الأراك سنة 591هـ.[4]

وقد أعلن المنصور ظاهريته، ولم يخفها كما فعل أبوه وجده، وحث الناس على طلب العلم، وأمر المحدثين بجمع مجموعة من الأحاديث من كتب السنة وأخذ الناس على حفظها، وكان يكافئ كل من يحفظ[5]، ونظرا لحرصه على نشر المذهب الظاهري اتخذ بينه مؤدبا ظاهريا وهو أبا سليمان بن حوط الله الغرناطي وذلك لينشئهم على أصول المذهب.[6]

فالمنصور إذن يعد مجدد المذهب الظاهري الذي أعلن عنه بالقول وحمل الناس عليه بقوة السلطان.[7]

وما يؤكد ظاهريته كذلك هو قوله لما مر على قبر الإمام بن حزم:« عجبا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم» ، ثم قال:« حقا كل العلماء عيال على ابن حزم » [8]

---

[1]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 232.

[2]عبد الباقي السيد عبد الهادي، **تاريخ أهل الظاهر**، المرجع السابق، ص62.

[3]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 205–215، أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص675.

[4]السلاوي، المصدر السابق، ص 165–175. الزركشي، المصدر السابق، ص 15. ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص216–220.

[5]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 233.

[6]أحمد محمود بكير، المرجع السابق، ص 64.

[7]محمد أبو زهرة، ابن حزم، المرجع السابق، ص 521.

[8]المقري، المصدر السابق، ج4، ص 222.

وبعد المنصور جاء ابنه الناصر، فهو الآخر سار على نهج أبيه، وعمم العمل بالمذهب الظاهري بالمغرب.

والذي قال عنه صاحب بيوتات فاس:« لما ولي الخلافة بلغة أن الفقهاء من المالكية ينكرون عليه ذلك، يقولون: الحق هو مذهب المدونة، فأمر بجمع ما وجد من النسخ منها بالمغرب وإحراقها فأحرقت عن آخرها.[1] ومما سبق نستنتج أن الدولة الموحدية استمرت على المذهب الظاهري إلى نهايتها واعتبر المذهب الرسمي للدولة في الحكم والقضاء.

2- أثر المذهب الظاهري في الحياة العلمية والفكرية:

لم يقتصر أثر المذهب الظاهري على الفقه والأصول فحسب، وإنما امتد لمختلف العلوم والمعارف وإخضاعها لأصوله خاصة عند شيخ المدرسة الإمام ابن حزم، الذي اتخذ الظاهرية مذهبا، وكرس له سلوكه، أو عقيدته، وفقهه، وكذلك في أدبه وشعره.

وبعد ابن حزم، اهتم تلاميذه بنشره الذي تغلغل في أعماقهم، وأسند بعقولهم وأفكارهم.

وفي هذا الشأن يقول إمام النحاة بالمغرب والأندلس المفسر الظاهري أبو حيان الغرناطي لما سئل هل تخلف عن مذهب الظاهرية بعد دخوله لمصر:« محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه » .[2]

وأثبت الباحثون المعاصرون عند دراستهم لابن حزم ومذهبه، على أنه كان مشروعا لهم ومنهج حياة سيطر عليه في مناحي سلوكه العلمي والمعرفي.

فقد طبق أصول الظاهرية ومنهجهم على مختلف العلوم النقلية والعقلية.

وسأقتصر على ذكر بعض العلوم التي كانت من اهتمام علماء الظاهر.

- **العلوم النقلية:**

إن أكبر أثر أحدثته المدرسة الظاهرية في المغرب والأندلس كان في مجال العلوم الدينية، ومنهج النظر الشرعي، وأساسه العودة المباشرة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، واستنباط الأحكام منها، وإحياء فقه الدليل بعد هيمنة الفروع والقوة على التقليد، والدعوة إلى الاجتهاد في نطاق النص لا الاجتهاد المبني على الرأي المتمثل خاصة في القياس.[3]

---

[1] إسماعيل بن الأحمر، المصدر السابق، ص 19.

[2] أحمد توفيق الغليزوري، المرجع السابق، ص 737.

[3] نفسه، ص 797.

1- أثر المدرسة الظاهرية في علوم القرآن والحديث بالمغرب والأندلس:

أ- علوم القرآن:

سلكت الدولة الموحدية مسلك أسس المذهب الظاهري بالاعتماد على ظاهر القرآن والحديث وذلك لأنها وجدت المنهج الفروعي المقلد هو سيد الفكر الفقهي بالمغرب والأندلس، فقد سنى الفقهاء في عهد الدولة المرابطية النظر في الأصلين الكتاب والسنة، وصف المراكشي ذلك بقوله:« ولم يكن يقرب من أمير المسلمين، ويحظى عنده من علم الفروع، أعني فروع المذهب مالك، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، فلم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء » .[1]

وهذا الوضع شبيه بعصر ابن حزم، أما عن أشهر التفاسير في عهد دولة الموحدين تفسير بقى بن مخلد (ت 286هـ/889م)، وتفسير الطبري لأبي عبد الله النحوي، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعالبي وغيرها من التفاسير.[2] كما اهتم الموحدون الظاهرية بالقراءات والتجويد خاصة في عهد المنصور المهتم بالقراءات والتجويد[3].

ولم يهتم الموحدون بالقرآن وقراءته بل اهتم أيضا بالتصنيف والتأليف واهتمامهم بالقرآن وتفسيره أثر في الحرية الفكرية.

وعرف التصنيف في أحكام القرآن في وقت مبكر بالأندلس وكان ذلك خلال القرن الثالث هجري على يد أحد مؤسسي الظاهر: منذر بن سعيد البلوطي (355هـ) وعد كتابه: الأنباء على استنباط الأحكام من كتاب الله". من أوائل المصنفات، كما أن ابن حزم ألف أيضا في أحكام القرآن. ونظرا لهذه المصنفات تأثر علماء الموحدين بذلك على غرار أبو بكر بن العربي صاحب كتاب: أحكام القرآن" و"الناسخ والمنسوخ، ومن صنف متأثرا بأهل الظاهر زمن الموحدين أبو محمد عبد المنعم بن الفرس (ت597هـ) الذي قربه المنصور لمجلسه، ومن

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 254.

[2] عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الظاهرية والمالكية وأثرهما**، المرجع السابق، ص290-291.

[3] نفسه، ص292.

المصنفات أيضا ما صنفه ابن مضاء (592هـ/1195م) كتاب :المشرق المذكور في تنزيه القرآن مما لا يليق بالبيان".[1]

وتطور التفسير الفقهي ومن ذلك ما ألفه أبو عبد الله الأنصاري القرطبي (ت671هـ) وتفسيره الجامع مع المشهور:" الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وأي الفرقان".[2]

وازدهر التأليف في التفسير عموما خاصة في القرن السادس هجري، واقبل عليها العلماء من مختلف المذاهب- خاصة الظاهرية والمالكية. ومن بين المشهورين أيضا أبو الحسن الحرالي التجيبي (ت638هـ) يعد من أشهر مفسري القرآن واضع كتاب مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل"[3]

ومن أعلام الظاهر زمن الموحدين كذلك أبو الحجاج يوسف بن عمران المزدعي الفاسي (ت655هـ) أحد أئمة التفسير وغيرهم من العلماء واعتمد المفسرون بالمغرب والأندلس على طريقة التفسير بالمأثور وتجنبوا الإغراق في التأويل وجلها مهتمة بالمذهب الظاهري التي تنكر أقوال أعلامه، وتكشف عن فقهه وأصوله، وهذه العناية بالتفسير وأحكامه وازدهار حركة التفسير عدت ثمرة من ثمار اتجاه أهل الظاهر وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث الذي رسخته دولة الموحدين بالمغرب والأندلس.[4]

ب- علم الحديث:

ازدهر في عهد الدولة الموحدية خاصة في فترة المنصور وأكد ذلك صاحب المعجب بقوله:" فقد انتشر لأهل الحديث في عهده حيث، وقامت لهم سوق وعظمت مكانتهم منه ومن الناس".[5]

---

[1] ابن فرحون، الديباج، ج1، ص210، عبد الباقي السيد، الظاهرية **والمالكية**، المرجع السابق، ص297.

[2] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص801.

[3] أبو العباس أحمد بن عبد الله الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة من بجاية**، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979 م، ص144.

[4] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص803-804. عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية وأثرهما، المرجع السابق، ص297-298.

[5] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص231.

واهتم جل خلفاء الدولة بالحديث وشمل الاهتمام بعلم الحديث حتى العامة.[1]

وأول من اهتم بالحديث ابن تومرت لكي ينشر بين أوساط العامة وذلك قصد محو مذهب مالك بالمغرب والأندلس.[2]

ومعظم أعلام الظاهرية بالمغرب والأندلس خلال العهد الموحدي برزوا في علم الحديث بل تألقوا وهذا بسبب دعم السلطان، وخلال هذه الفترة كثر التحدث عن الإمام ابن حزم في المجالس العلمية، ولم يقتصر دراسة علم الحديث وانتشاره على علماء الظاهر فقط فحتى علماء المالكية اهتموا بالحديث وابرز الكتب المتداولة في عهد الموحدين، صحيح البخاري ومسلم، وموطأ مالك، وسنن النسائي، وأبي داود وابن ماجة، والترمذي، ومسند بقى بن مخلد الذي امتدحه ابن حزم والجمع بين الصحيحين للحميدي- تلميذ ابن حزم- وكتاب محاذى الموطأ لابن تومرت وغيرها.[3]

واهتم الموحدون بدراسة الحديث وعلومه من مذهبهم الفقهي الذي تبنوه، وفرضت الدولة على العامة بدراسة الحديث بل وجعلت لمن حفظه جوائز ومكافآت.[4]

وابرز أئمة الظاهر الذين برزوا في ازدهار الحركة الحديثية خلال هذا العصر: أبو العباس بن بشير بن الأنصاري الخزرجي البلنسي(ت532هـ)، شيخ القاضي عياض له كتاب :" رجال مسلم وكان يميل في فقهه إلى الظاهر[5]. ومن الظاهريين أيضا: أبو عبد الله محمد بن حسين الأنصاري المري، المعتنى بنقل الحديث له كتاب حسن في الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم.[6]

---

[1] أبي عبد الله القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي الدينار، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1286هـ، ص108-109.

[2] الغلبزوري، المرجع السابق، ص805. حسن علي حسن، المرجع السابق، 466.

[3] عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الظاهرية والمالكية وأثرهما**، المرجع السابق، ص298-299.

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص231-232.

[5] ابن الآبار، **التكملة**، ج1، المصدر السابق، ص44. الغلبزوري، المرجع السابق، ص807.

[6] ابن بشكوال، **الصلة**، ج 2، المصدر السابق، ص581.

ومن بين علماء الظاهر المساهمين في نهضة علم الحديث: أبو العباس احمد بن عبد الملك الاشبيلي والمعروف بابن أبي مروان (ت549هـ) وقيل عنه بخاري زمانه لبراعته في علم الحديث له كتاب في السنن وسماه :"المنتخب المنتقى".[1]

كذلك برز أبو القاسم بن بقي بن مخلد القرطبي(ت625هـ) شيخ ابن القطان الفاسي في الحديث، ولقد كان مسند أهل المغرب وعالمهم ورئيسهم مثلما وصفه ابن العماد الحنبلي في كتابه.[2]

ومن كبار المحدثين أيضا: أبو الخطاب بن دحية الكلبي السبتي (ت633هـ) المهتم بعلم الحديث، ومن علومه في الحديث: كتاب "رجال الحديث في الجرح والتعديل" وغيرها من الكتب،[3] ومن بين المحدثين الظاهريين الإمام أبو العباس احمد بن محمد بن خليل بن مفرج النباتي. والمعروف بابن الرومية الظاهري (ت 637هـ/ 1239م) صاحب المشروع الحديثي المتكامل في علوم الحديث من كتبه:« بحر الآثار في الحديث وكتاب "كنز الأخبار في الحديث" وغيرها.[4]

بالإضافة إلى هؤلاء برز أبو بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي، والمشهور بابن سيد الناس (ت 659 هـ) العالم المغربي، كون مدرسة من أهل الحديث ببجاية[5] ذكره الغبريني يقوله:« له سعة علم ورواية، ومعرفة ثابتة ود أنه... وكثر الآخذون عنه والسامعون منه والمقتدون به » .[6]

إذن هؤلاء يمثلون البعض من محدثي الظاهرية والذين ساهموا في نهضة علم الحديث بالمغرب والأندلس من خلال مؤلفاتهم وبمنهجهم في تتبع الآثار والسنن.

---

[1] ابن الآبار، **التكملة**، ج1،تح : ابراهيم الأبياري ، ط1 ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت 1989 م، ص58.

[2] ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج5، ص116-117.

[3] المقري، المصدر السابق، ج2، ص99.

[4] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 810. عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الظاهرية والمالكية**، المرجع السابق، ص 306.

[5] بجاية: بكسر الباء وهي مدينة على ساحل البحر بين افريقيا والمغرب أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري سنة 457 هـ. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 339.

[6] أبو العباس أحمد بن عبد الله الغبريني، المصدر السابق، ص 293، 294.

وخلال الفترة الموحدية أيضا برز علماء وفقهاء مالكية الذين شاركوا أيضا في ارتقاء علم الحديث ومن بينهم عبد الحق الإشبيلي (ت 581هـ/1185م)، من كتبه: "كتاب المعتل من الحديث"، وابن الآبار (ت 658هـ/1259م) وابن القطان الكتامي (ت 628هـ/1230م) المتأثر بالمنصور الموحدي، ولقد تأثر محدثي المالكية بالظاهرية في منهجهم الحديثي، فقد اعتمد عبد الحق الإشبيلي على كلام ابن حزم في التصحيح والتضعيف وفي النقل والتجريح.[1]

2- أثر المذهب الظاهري في الفقه واصوله:

لم يكن علم أصول الفقه متداولا ببلاد المغرب قبل دولة الموحدين، وبقيام هذه الأخيرة تبنت الأصول في الفقه: القرآن والسنة والاجماع، وأزدهر خلال هذا العهد علم أصول الفقه ببلاد المغرب حتى أن بعض الأندلسيين يرحلون لدراسته ببلاد المغرب.[2]

وبمجرد ظهور المهدي بن تومرت بالمغرب- الدارس لأصول الفقه- برز هذا العمل حتى أنه عجز الفقهاء عن مناظراته مثلما ذكره عبد الواحد المراكشي في كتابه[3]، لذلك أثناء عهد الدولة الموحدية توجه الناس لعلم أصول الفقه فازداد التصنيف والتأليف في علم أصول الفقه والهدف وراء دراسة علم أصول الفقه كان: تأصيل الأحكام الشرعية، ودراسة القواعد التي تمكن من استخراج الأحكام من أصولها، وهو الأمر الذي تبناه رجال المذهب الظاهري، وهو ما جسده المهدي ابن تومرت في كتابه "أعز ما يطلب" الذي تحدث عن معرفة الأصل وحقيقته، والطريق إلى إثباته، وعند عرضه للمسائل كان يستدل بالحجج من القرآن والسنة والإجماع دون الرجوع للفروع.[4]

ومن بين العلماء المهتمين بهذا العلم وأقبلوا على دراسته والتأليف فيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري (ت 612هـ)، إضافة إلى أبو العباس أحمد بن خالد المالطي (ت 660هـ) إضافة إلى الإمام الاصولي أبو عبد الله، محمد الفندلاوي الفاسي والمعروف بابن الكتاني

---

[1] عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الظاهرية والمالكية وأثرهما**، المرجع السابق، ص304-309.

[2] نفسه، ص 310.

[3] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 270-271.

[4] المهدي ابن تومرت، **أعز ما يطلب**، المصدر السابق، ص 18-23.

(ت596هـ/1199م) صاحب أرجوزة في علم أصول الفقه فهو إمام في هذا العلم وفي علم الكلام، ومن بينهم أيضا أبو الحسن علي بن محمد الخزرجي الإشبيلي (ت 611هـ) وكتابه الذي صنفه في أصول الفقه: "البيان في تنقيح البرهان" وله أرجوزة في علم الكلام.[1]

ورئيس طلبة الموحدين بالمغرب كان الحافظ أبو الحسين ابن القطان الكتامي الفاسي (ت628هـ) ألف رسالة سماها : " انهاء البحث منتهاه عن معزى من أثبت بالقياس ومن نفاه » .[2]

وابن القطان تأثر بابن حزم وبمنهجه وتأثر بكتب ابن حزم في أصول الفقه، فألف كتاب: "الاقناع في مسائل الإجماع" وألحقه بأمر من يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن.[3]

ولقد أثرت الحركة الفقهية زمن الموحدين بالمغرب والأندلس وانجر عنها تأصيل الفقه المالكي الذي تجذر لم يستطع الموحدون محوه رغم بذلهم لوسائل متعددة مثلما ذكره عبد الواحد المراكشي.[4] وتطور المذهب المالكي وصار يعتمد على الأدلة بعدما كان يقارن أئمة المذهب بعضها ببعض.[5] إضافة الى ازدهار علم الجدل والمناظرة بين فقهاء المالكية وفقهاء الظاهرية فقد كان خلفاء الدولة الموحدية يعقدون المجادلات والمناظرات في مجالسهم، ومن بين علماء المالكية الذين قاموا بالرد على ابن حزم القاضي أبو بكر المعافري (543هـ) ألف مجموعة من الكتب للرد على الظاهرية والتي من بينها: "النواهي عن الدواهي" و"العواصم من القواصم".[6]

[1] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 831-832. المنوني، المرجع السابق، ص 42.

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص42-43.

[3] احمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 232.

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص232.

[5] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 845.

[6] أبو بكر بن العربي، المصدر السابق، ص238. المنوني، المرجع السابق، ص 40.

ومن بين المسائل التي رد فيها ابن العربي على الظاهرية قولهم أن المراد بقوله تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] القرآن والحديث وبأن ليس المراد بالذكر هنا الحديث وإنما القرآن فحسب.[2]

ومن بين المالكية الذي ألفوا للرد على ابن حزم أيضا أبو الحسين بن زرقون (ت 621هـ)، ألف كتابه المسمى بـ:" المعلى في الرد على المحلى والمجلى"[3].

ومن فقهاء المالكية الذين دعوا للاهتمام بالفقه وأصوله ابن رشد الحفيد (ت595هـ/1198م) وعلي بن محمد الصحاج الفزاري " ت557هـ/1161م) الذي لبى رغبت عبد المؤمن في الاهتمام بالأصول صاحب كتاب مدارك الحقائق في أصول الفقه"

وشارك حكام دولة الموحدين فقهاء الظاهرية في التمكين للمذهب الظاهري وعلى رأسهم المنصور شجع الفقهاء، وكان يتكلم الفقه، بل أن فقهاء عصره يرجعون اليه في الفتاوى، حتى أنه صنف كتابا جمع فيه متون أحاديث صحاح تتعلق بالعبادات سماه الترغيب.[4]

وما يمكن استنتاجه مما تقدم هو أن الموحدين ورغم نهجهم الظاهري إلا أنهم لم يرفضوا المذاهب، وهدفهم الوحيد هو الاعتماد على الأصول الرئيسية ليس إلا–وهي القرآن– السنة والاجماع، فتركوا الحرية الكاملة لأتباع المذاهب الأخرى شرط أن لا يسلكو مسلك أهل التقليد والفروع.[5]

كما ازدهر علم الكلام خلال هذه الفترة–أي عهد الموحدين– وقد نجح الموحدون في تأصيل علم الكلام مثل نجاحهم في علم أصول الفقه ومن علماء المالكية ممن اشتهروا في هذا المجال: علي بن إسماعيل بن حرزهم (ت 559هـ/1163م)، وعلي بن محمد المعروف

---

[1] سورة الحجر، الآية 9.

[2] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 866.

[3] ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج5، ص96.

[4] المنوني، المرجع السابق، ص 38–39. عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الظاهرية والمالكية وأثرهما**، المرجع السابق، ص318.

[5] نفسه، ص322.

بابن الاشبيلي (ت 567هـ/1171م) مقرر علم الأصول وعلم الكلام بفاس وعثمان بن عبد الله القسي والمعروف بالسلالجي (ت 564هـ/1168م) صاحب كتاب "العقيدة البرهانية" كما أن فقهاء الظاهرية كان لهم دورا بارزا في تأصيل علم الكلام وتنزيهه عن أباطيل الفرق الإسلامية، واهتموا بوضع كتب ورسائل في الرد على الفرق الإسلامية وأباطيلها وأخرى في تبسيط علم الكلام للعامة، كما أن كتب المتكلمين كالجويني[1]-إمام الحرمين- والقاضي الباقلاني[2]، والإمام الغزالي وجدت رواجا خلال هذه العهد.[3]

3- أثر المدرسة الظاهرية في علوم اللغة

اهتم الموحدون بالعلوم اللغوية لاستكمال مشروعهم الهادف إلى إعادة الاعتماد على الأصول وترك ما دونها، وهذا يعني إعادة للنهج الظاهري.

لذلك اهتم حكام الموحدين بعلم اللغة مثل اهتمامهم بالعلوم الشرعية، فكيف يفهم نصوص الشرع ويستخرج الأحكام دون الرجوع لهذا العلم.[4]

ففي عهد عبد المؤمن بن علي أقام ندوات أدبية يتبارى فيها الأدباء المغاربة والأندلسيون، وكثر الأدباء والشعراء خلال هذا العهد.[5]

وعند الموحدين العالم قبل أن يكون فقيها لا بد أن يكون إماما في العربية، وهذا ينطبق مع ابن حزم فكل المصادر التي ترجمت له اتفقت ذكرت أنه بدأ حياته أديبا ثم انتهى فقيها.[6]

---

[1] أبو المعالي عبد الملك بن يوسف بن محمد الجويني قاضي قضاة الشام، أول من خطب المسجد الأقصى، توفي سنة 478هـ/1085م. ينظر: السبكي، المصدر السابق، ج3، ص 157.

[2] الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، الأصولي المتكلم. توفي سنة 403هـ/1012م، ينظر: الحنبلي، المصدر السابق، ج2، ص 169.

[3] المنوني، المرجع السابق، ص41، 42. أنخل بالنثيا، المرجع السابق، ص127.

[4] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية **والمالكية وأثرهما**، المرجع السابق، ص 349.

[5] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 179-189. المنوني، المرجع السابق، ص95-79. انخل بالنثيا، المرجع السابق، ص127-128.

[6] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج18، المصدر السابق، ص 186.

وخلاصة النظرة الظاهرية الى اللغة عند إمام الظاهر ابن حزم تقوم على تقديس النص والخضوع لموجبات لغة العرب في فهم الشرع، وأي خرق للنص اللغوي يعد خرقا للنص الشرعي.[1] ولقد نقل أبو محمد المذهب الظاهري من ميدان الفقه إلى ميدان النحو لذلك تعرض إلى حملات مخالفيه، فطريقة ابن حزم ومنهجه في اللغة مثل الفقه، فتثملت طريقته في رفض القياس والتعليل والاشتقاق في النحو واللغة كما في الفقه والشريعة، وهو المنهج الذي اتبعه وأثر في آراء ابن مضاء (ت 592هـ) الذي استفاد كثيرا من المنهج الظاهري في إنكار الرأي الذي لم يستند إلى دليل نصي.[2]

وكانت ثورة ابن مضاء على النحويين واساليبهم المشرقيين شبيهة بثورة المنصور وأبيه على كتب الفروع المالكية، ولقد كان أكثر نحاة الأندلس فقهاء ومحدثين وقراء، وبعضهم أخذ بالمذهب الظاهري فليس غريبا أن كثيرا منهم يحترم المسموع من الكلام العربي، ويتمسك بظاهر الشواهد ولا يتعسف في التأويل كما كان يفعل نحاة الشرق، ولا يسرق في القياس.[3]

وأرادت الدولة الموحدية منذ نشأتها الاستقلال عن المشرق في كل شيء، فقطعوا الولاء للعباسيين في بغداد، كما كان المرابطون- واعتبر عصرهم عصر ثورة على المشرق ولم تقتصر ثورتهم على تقليد كتب الفروع الفقهية وحسب, وإنما تعدتها إلى الثورة على تقليد علم النحو المشرقي المستمد من المدرستين الكوفية والبصرية.[4]

ولقد سلك ابن مضاء في النحو وقواعده سلك المدرسة الظاهرية في الفقه وأصوله، واجتهد في وضع مذهب جديد في النحو يريد من خلاله هدم كتاب سيبويه والنحو المعهود، ومن أجل إبراز المنهج الظاهري، ألف ثلاثة كتب، وهي: "المشرق في النحو" وهو تطبيق عملي لمذهبه الجديد.[5]

---

[1] ابن حزم، **التقريب لحد المنطق**، المصدر السابق، ص302.

[2] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 745-746.

[3] حسان محمد حسان، المرجع السابق، ص 93.

[4] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 749.

[5] أحمد أمين، المرجع السابق، ص95.

وكتابه الثاني: "تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان" وهو كذلك رد على النحويين، ورد عليه في هذا التصنيف معاصره أبو الحسن علي بن محمد بن خروف (ت 609هـ/.....) المتأثر بسيبويه ونحاة البصرة، وألف كتابه المسمى:« تنزيه أئمة النحو عما نسب إليهم من الخطأ والسهو" فلما سمع بذلك ابن مضاء بمناقضة ابن خروف له قال:« نحن لا نبالي بالكباش النطاحة، وتعارضنا أبناء الخرفان » [1].

بينما كتابه الثالث فعنوانه:« الرد على النحاة » الذي يقوم على إلغاء القياس والتعليل وإلغاء نظريات وعلل كثيرة في النحو وبهذا حاول تخليص النحو من المشرقين في التأويل.[2]

كما تأثر أبو حيان الغرناطي (ت 745هـ) بابن مضاء الذي كان ظاهري المذهب متعصبا لابن حزم–والملقب بأمير المؤمنين في النحو، ومن بين ما قاله:« لا نصير إلى التأويل مع إمكان حمل الشيء على ظاهره لا سيما إذا لم يقم دليل على خلافه » .[3]

فالتمسك بظاهر النصوص والمسموع من كلام العرب والبعد عن التعسف في التأويل، والإلغاء أو التقليل من القياس أثر من آثار تطبيق أصول المذهب الظاهري على النحو العربي، تميزت بل انفردت به الأندلس وبلاد المغرب الإسلامي عموما.[4]

ومن بين الادباء الذين ساهموا في ازدهار النهضة الأدبية بالمغرب والاندلس أبو الخطاب ابن دحية وذلك بتأليفه كتاب:« المطرب في أشعار أهل المغرب » ومن بين المالكية الذين ساهموا أيضا في التأليف والتصنيف محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي (ت 570هـ/1174م) من كتبه:« الفصول والجمل في شرح أبيات الجمل » والسهيلي المالكي الناقد، الذي تخرج على يديه جماعة من الطلبة نشروا علم العربية وفقهها أمثال ابن حوط الله، وابن دحية، والضبي صاحب كتاب "بغية" الملتمس" وغيرهم.[5]

---

[1] ابن فرحون، المصدر السابق، ص 48. الزركلي، المصدر السابق، ص 330.

[2] حسان محمد حسان، المصدر السابق، ص48.

[3] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 784.

[4] نفسه، ص 784.

[5] عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية وأثرهما، المرجع السابق، ص 351.

ولقد اهتم الموحدون بالجانب اللغوي عموما وقاموا بإحضار المؤدبين لأبنائهم وتربيتهم على النطق السليم الصحيح وظهرت عدة مدارس نحوية في مدن مختلفة بالمغرب والأندلس، كما جمعت دواوين الشعر كديوان ابن حبوس الفاسي وديوان عتيق بن علي الصنهاجي وغيرها، كما ازدهر فن التوشيح خلال هذا العهد ومن بين المهيمن بالموشحات الناصر الموحدي، علي ابن إبراهيم بن سعد البلنسي وابن حزمون كما عملت الدولة على احياء رونق الخطابة وبرز الخطباء الذين برعوا في الوعظ الديني ومن بينهم محمد بن أحمد التلمساني والمعروف بابن الحجام (ت 614هـ/1217م) صاحب كتاب "حجة الحافظين ومحجة الواعظين".[1]

ولم يقتصر أثر المدرسة الظاهرية على العلوم الشرعية، والنقلية، وإنما تعداها للعلوم العقلية وخلال عهد الموحدين تنوعت المصنفات في التاريخ والطب والفلك والرياضيات ومن ذلك:

- **التاريخ:** الذي وصل علمه الى دورته في العهد الموحدي ولعب الظاهرية والمالكية دور كبيرا في تأصيل هذا العلم. ومن بين الذين اشتهروا في ميدان علم التاريخ: أحمد بن محمد الفهري وكتابه "تاريخ دولة عبد المؤمن وحزبه" والمراكشي وكتابه "المعجب في أخبار المغرب"، وابن القطان المالكي صاحب النزعة الظاهرية وكتابه الشهير "نظم الجمان" وموسى بن سعيد مصنف "المغرب في حلى المغرب" الذي اختصر جمهرة أنساب العرب لابن حزم.[2] ومن مؤرخي الظاهرية أيضا أبو بكر بن علي الصنهاجي والمكنى بالبيدق صاحب كتاب: "اخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، ومن بين رواد المدرسة الظاهرية التاريخية أيضا أبو الخطاب بن دحية الكلبي وله كتاب في السيرة المعنون بـ: "التنوير في مولد السراج المنير"،

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 241، المقري، المصدر السابق، ج2، ص99. المنوني، المرجع السابق، ص103.

[2] ابن القطان، المصدر السابق، ص 39-39، المنوني، المرجع السابق، ص 51.

كما أعتنى ابن الرومية (ت 637هـ/1239م) بالتاريخ والأنساب ونقد الروايات، وغيرهم وازدهار التاريخ يرجع لتشجيع حكم الموحدين لدراسة التاريخ خاصة المنصور.[1]

• **الفلسفة:** ازدهر علم الفلسفة عند الموحدين فقد خصص بيتا للمناظرة سمي بيت الطلبة، ولقد أصبح لها مكانة في الحياة الفكرية والاسلامية وأقبل الطلبة على تعلمها، وممن برز بالمغرب خلال هذه الفترة، ابن طفيل (ت 581هـ/1185م) أحد فلاسفة المسلمين وابن رشد (ت 520هـ/1126م) الذي عمد الى تأصيل علم المنطق متبعا أسلوب ابن حزم وظهر جماعة من المهتمين بالفلسفة والمنطق أمثال الطبيب إبراهيم بن الفخار[2]، وأبو الحسن علي بن أحمد البحتي المعروف بالحرالي، ويرجع ازدهار علم الفلسفة والمنطق–رغم رفضه من فقهاء المالكية إلى عدة أسباب من بينها: توجه الموحدين الظاهري ونبذهم للتقليد وترتب على ذلك مناظرات بين أهل الظاهر والمالكية، أيضا الفكر العقدي للموحدين وقد احتاجت الدولة الى الأسلوب الجدلي للدفاع عن فكرها العقدي بالإضافة الى ظهور بعض المذاهب الجديدة في التصوف الإسلامي الأمر الذي استدعى وقوع المناظرات بين أنصار التصوف ومعارضيه وغيرها من الأسباب إلا أن الأهم هو تأثر حكام الموحدين بالأسلوب الجدلي للإمام ابن حزم كابن تومرت وعبد المؤمن والمنصور.[3]

• **الرياضيات:** ازهرت علوم العدد والحساب والهندسة في العهد الموحدي، وبرع فيه جماعة من العلماء أمثال أحمد بن إبراهيم بن علي بن منعم العبدري (ت 626هـ/1128م) من كتبه "فقه الحساب" ما اشتهر في هذا العلم عبد الله ابن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين (ت 601هـ/1204م) إمام الجبر صاحب : "الأرجوزة الياسمينية في علم الجبر والمقابلة"، وازدهار الرياضيات خلال هذا العهد هو ان الحساب كان يفيد القضاة في معرفة أحكام

[1] المنوني، المرجع السابق، ص47–50. عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 358–360.

[2] ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص23.

[3] ابن ابي الدينار، المصدر السابق، ص117، المنوني. الرجع السابق، ص 82–84.

المواريث وتقدير الخراج والزكاة كما أن الهندسة اعتبرت أساسا قامت عليه المنشآت المعمارية الكثيرة إضافة إلى دعوة فقهاء الظاهر إلى تعلم الرياضيات.[1]

- **علم الفلك:** تأثر الموحدون بأفكار ابن حزم الفلكية ومنها توصله الى كروية الأرض لذلك ازدهر علم الفلك خلال عهدهم وشجعت الدولة العلماء على الاختراعات والابتكارات وتأليف الكتب.[2]
- **الطب والصيدلة:** كما اهتم الموحدون بالطب والصيدلة ومن بين الأطباء التابعين للسلطان، عبد الملك بن زهر (ت 557هـ/1162م) صاحب كتاب "التيسير في الطب العملي" وأهداه الى ابن رشد ابن طفيل (ت 581هـ/1185م) وعبد الله بن القاسم القرطبي (ت 575هـ/1179م)، ومنهم أيضا بن مفرج النباتي الظاهري صاحب كتاب جامع الأدوية المفردة وكتاب "الصيدلية".

وتوسع مجال البحث في مسألة الأدوية خاصة النباتية وتنوعت المصنفات والابتكارات للظاهرية والمالكية في مجال الطب كبيت الاشربة والمعاجين الطبية، الخاص بالحكام إضافة إلى إنشاء المارستانات للأغنياء والرعية.[3]

ثانيا: انحسار المذهب الظاهري

لقد أسرع المذهب الظاهري الحزمي إلى زوال بعد نهاية دولة الموحدين (668هـ/1261م) ولم يبق من أتباعه خلال القرن 13م إلا عددا قليلا من العلماء وعامة الناس. ويقول أنخل بالنثيا في هذا الشأن:« وقد أسرع المذهب الحزمي إلى الزوال بعد انقضاء الموحدين، ولم نجد من اتباعه خلال القرن الثالث عشر ميلادي (السابع هجري) إلا عددا قليلا مثل أثير الدين

[1] المنوني، المرجع السابق، ص 74-75. عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 371-372.

[2] المنوني، المرجع السابق، ص78-70. عبد الباقي السيد عبد الهادي، الظاهرية والمالكية، المرجع السابق، ص 372.

[3] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص237. المنوني، المرجع السابق، ص91-92. عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الظاهرية والمالكية وأثرهما**، المرجع السابق، ص 374-377.

أبي حيان النحوي، وأحمد بن صابر القيسي الشاعر...وفي مصر نجد آخر مظهر لوجود المذهب الحزمي وهو أحمد البرهان الذي اجتهد في إحياء معالم ذلك المذهب » [1]

وأحميد بكير محمود نقل في كتابه عن زوال المذهب الظاهري والذي وصفه بالانقراض وذلك بقوله:« وهكذا انقرض المذهب بدخول القرن الثامن وانقراض دولة الموحدين، ولم يبق له أثر يذكر إلا في بطون الكتب، وبعض القوانين المعاصرة تستعير من فقه الظاهرية ما يتماشى وتشاريعها كما وقع عندنا في تونس » .[2]

ورغم سعة علم الإمام داود بن علي والإمام ابن حزم الأندلسي الظاهريين وذكائهما إلا أن الفقهاء والعلماء وحتى العامة نفروا من المذهب الظاهري ويرجع ذلك لعدة أمور والتي من بينها:

- انتحال القوة بظاهرية النص.
- جرأتهما البالغة وعدم تقبل المناقشة من أحد
- محاربتهما للتقليد.
- القول بخلق القرآن.[3]

وبعد تحول المذهب الظاهري والقول بالظاهر من اجتهاد وعمل فكري عند أهل الظاهر ببلاد المغرب والأندلس الى دولة متبنيه المذهب الظاهري حكما وقضاء وهي دولة الموحدين إلا أن هذه الأخيرة وبمجرد نهايتها زال المذهب الظاهري وقل عدد أتباعه ومناصريه فبمجرد تسلم الدولة المرينية[4] الحكم جددت كل فروع المالكية وترك العمل بالظاهرية، فنسي العلماء الأصول، وعادوا للتقليد، وهذا سببه هو منهج التقليد والفروع كان عميق الجذور ببلاد المغرب

[1] أنخل بالنثيا، المرجع السابق، ص 238.

[2] أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص66-67.

[3] مصطفى جعفر بيشة فرد، المرجع السابق، ص 172.

[4] الدولة المرينية: بنو مرين سلالة أمازيغية حكمت بلاد المغرب الأقصى (ق13-ق15م). ينظر: شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 212-246.

الى درجة أن المدونة لم أحرقها ملوك الموحدين نقلت من صدر الفقه المالكي على ابن عشرين الخزرجي الفاسي ومن حفظه بمدينة فاس.[1]

ويرجع عدم استمرار العمل بالدعوة الى الاجتهاد على أصول الظاهرية واستناط الاحكام من ظاهر القرآن والسنة لعدة أسباب من بينها:

– تجذر المذهب المالكي في جانبه الفروعي بالمغرب، وتشبث أهله بكتب الفروع، وصمود فقهاء المالكية، ورفضهم للدعوة الموحدية، ومقاومتهم لمنهجهم الفقهي.

– إجبار الناس بالقوة وحملهم على المذهب الظاهري بالإكراه والإلزام وهذا أثر في نفوس الفقهاء وجعلهم لا يتقبلون هذا المنهج بل وازدادوا نفورا منه وضلوا متشبثين بمنهجهم ومسلكهم الفقهي القديم.

– عدم التزام الموحدين بمنهج واضح، واتباعهم لمذاهب متعددة، ومن ذك قولهم بعصمة المهدي.

– متأثرين بالشيعة– هذا أثر على فقهاء المغرب بشكل سلبي ولم يتقبلوا ذلك فهم من أهل السنة والجماعة، رغم إنكار يعقوب المنصور لهذه المسألة إلا أنه لم يستطع الإجهار بذلك، ومن بعده جاء ولده أبو العلاء إدريس بن يعقوب الملقب بالمأمون (626–630هـ) الذي نبذ دعوة المهدي[2] إلا أنه قام بذلك في فترة انهيار دولة الموحدين.[3]

– هزيمة العقاب (609هـ)، وما ترتب عنها من آثار وخسائر على المسلمين ببلاد المغرب والأندلس والتي خلفت أثرا عميقا في نفوس الناس، والبعض اعتبر ذلك عقوبة من الله بسبب إحراق الناصر للمدونة وعدوله عن مذهب مالك، وهذا أدى إلى ضعف العلاقة بين العدوتين ثم زوالها نهاية العهد المريني وهذا أثر على الحركة العلمية ببلاد المغرب.[4]

---

[1] ابن الأحمر، المصدر السابق، ص19. أحمد توفيق الغلبزري، المرجع السابق، ص 728–729.

[2] مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص40.

[3] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص731.

[4] نفسه، ص 632.

– سقوط الدولة الموحدية على يد دولة بني مرين وإحيائهم للمذهب المالكي من جديد بالمغرب الذين ردوا الاعتبار لكتب الفروع والاقتناع بالتقليد، فشيدت المدارس العلمية لتدريس الفقه المالكي بدل الحديث النبوي إضافة إلى تضاعف الزوايا والرباطات الصوفية خلال هذا العهد.[1]

[1] أحمد توفيق الغلبزوري، المرجع السابق، ص 632.

الخاتمة

من خلال هذه العرض توصلت في ختام هذه الدراسة لموضوع المذهب الظاهري بالغرب الإسلامي ما بين القرنين (4-7هـ /10-13م) إلى جملة من النتائج يمكن حصرها في ما يلي:

1- كانت منطقة المغرب الإسلامي أرضا خصبة لنصرة وتقبل جميع المذاهب الوافدة من المشرق، فقد كانت تحتضن كل ما ظهر ببلاد المشرق الإسلامي من مذاهب وفرق، وكل ما تفشَى فيها من نزاعات سياسية في قالب مذهبي وعقائدي، لذلك عرفت انتشار مختلف المذاهب على غرار مذهب الأوزاعي، الحنفي، المالكي، والحنبلي رغم أن الانتصار والتثبيت كان حليف المذهب المالكي.

2- يعتبر القرن الثالث هجري أزهى العصور بالنسبة لأهل الحديث، ولهذا كان عصر المحدثين والمجتهدين، فشهد تميز المذاهب الفقهية، ومن بين هذه المذاهب، المذهب الظاهري الذي نشأ ببغداد وأوَل من دعا إليه الإمام داود بن علي الأصفهاني.

3- يرجع نشأة المذهب الظاهري إلى عدة أسباب منها: الإسراف في استخدام القياس، بالإضافة إلى تأثر الإمام داود بالإمام الشافعي في الأخذ بالنصوص وتعزيزها.

4- يتلخص مذهب داود الظاهري في الاعتماد على ظواهر النصوص من الكتاب والسُنة، فلا رأي ولا إعمال للعقل في حكم من أحكام الشرع، وحصر أصول مذهبه في الكتاب والسُنة والإجماع فقط.

5- انتشر المذهب الظاهري في عهد مؤسسه الإمام داود رغم معارضة الكثيرين له، ويرجع انتشاره لعاملين هما: الأول مصنفات الإمام داود وثانيهما فيتمثل في تلاميذ داود الظاهري.في حين ترجع أسباب انتشاره بالغرب الإسلامي لمصنفات ابن حزم، التي دوَن فيها أصول مذهبه، والمتمثلة في القرآن، السُنة، الإجماع، والدليل، إضافة إلى تلاميذه الذين خلفوه لنصرة مذهبه، ناهيك عن مناظراته الفقهية.

6- رغم اهتمام تلاميذ الإمام داود بنشر كتبه وأفكار مذهبه إلا أن المذهب عرف تراجعا بالمشرق، ويعود ذلك إلى عدم تبني السُلطان للمذهب، وبينما تَم تبني المذاهب السُنية الأخرى، ومما ساهم في تراجعه كذلك هو أنه جاء آخر المذاهب الأربعة.

7- وعلى النقيض من المشرق فقد انتشر المذهب الظاهري بالغرب الإسلامي، خاصة الأندلس، وذلك بفضل رحلات العلماء العلمية. وقد بدأت بذور الفقه الظاهري تنضج بالأندلس أثناء حياة الإمام داود.

8- انتشر المذهب الظاهري أكثر بعد وفاة الإمام ابن حزم في مختلف الأقطار الإسلامية مشرقا ومغربا، بفضل طلبته وأنصاره، زيادة على ذلك ازدهر المذهب الحزمي بقيام دولة الموحدين فعمم العمل به بالمغرب والأندلس.

9- اثَر المذهب الظاهري على الحياة العامة ببلاد المغرب والأندلس في مختلف الميادين، سياسيا تبني دولة الموحدين للمذهب خاصة فترة حكم المنصور يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي (580 – 595 هـ / 1184 – 1198 م) وتقلد الظاهرية مناصب عليا في الحكم ، بينما ثقافيا بازدهار الحركة العلمية وبروز نخبة من العلماء فقد أقبلوا من كل مذهب على طلب العلم والتبحر فيه فنبغ منهم رجال برز بعضهم في الفقه ، وبعضهم في النحو، وكذلك في علم المنطق ،وعلم الكلام ،ومنهم من أتقن فن الجدل والمناظرة وغيرها من العلوم ، ونافسوا اهل المشرق في ذلك .

10- المذهب الظاهري يروق لكثير من العوام فقد سهَل عليهم وفتح لهم باب الاجتهاد بأسهل الطرق، وأي مذهب يحتاج لكي يثبت لعلماء يقومون بتدوين كل أصوله، وقواعده حتى يستمر، كما أنه يحتاج للتدوين ليبقى، ويحتاج أيضا لدعم السلطان، والمذهب الظاهري تأمن له العلماء والتدوين، في حين عدم تبنيه من السلطان أوصله لنتيجة حتمية عدم الانتشار، التقهقر والانحسار.

13- أسرع المذهب الظاهري إذن إلى التراجع والانحسار بعد نهاية حكم الموحدين رغم جهود أنصاره لبقائه، ويرجع هذا لعدة أمور أهمها: انتحال القوة بظاهرية النص، ومحاربة التقليد لذلك قلَ أتباعه وترك العمل بالظاهرية بسبب تجذر المذهب المالكي وتشبث المغاربة بكتب الفروع.

وعليه يمكننا القول أن المذهب الظاهري انتشر ببلاد الغرب الإسلامي أين جدَد وتمَ إحياؤه من جديد، وتأسست مدرسة له ، وعمم للعمل به بقوة السلطان، إلا انه ولتضافر عدة أسباب انحصر وتراجع العمل بالقول به .ورغم ذلك لا يمكن أن نحكم بزوال المذهب ، وانقراضه ، فهناك من يقوم بدراسات عديدة يستعرض فيها رأي الإمام ابن حزم ليدَعم وجهة نظره .

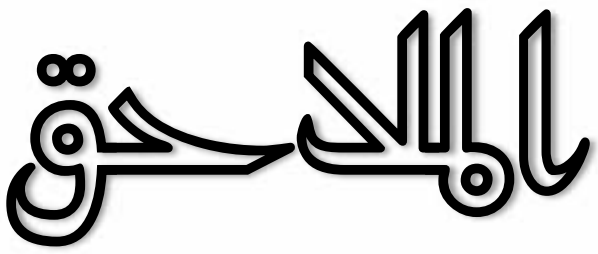

ملحق رقم (01): خريطة المغرب الإسلامي بين القرنين (4-5) هجريين

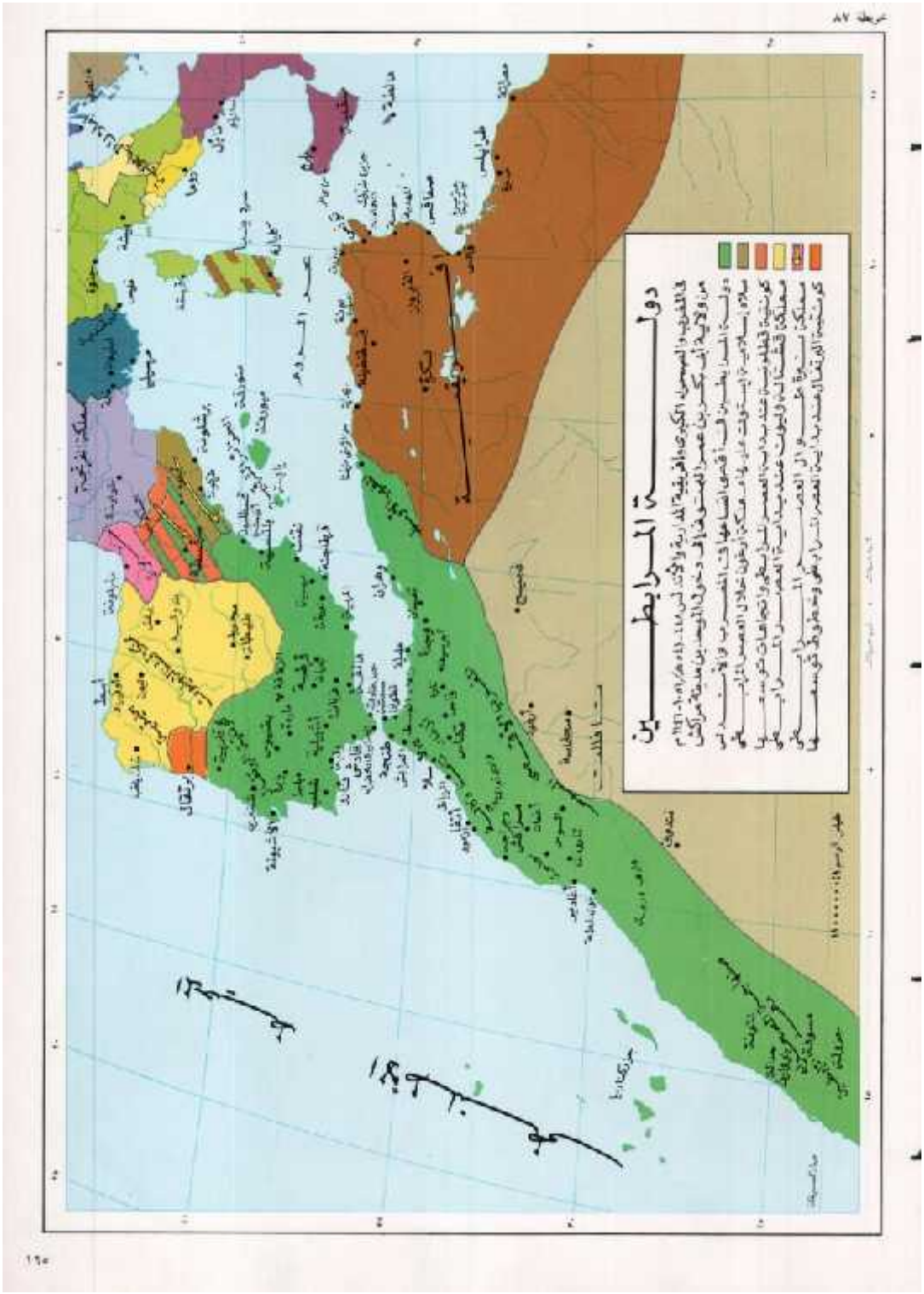

المرجع: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، زهران الاعلام، القاهرة، 1987، ص 165

ملحق رقم (02): خريطة المغرب الإسلامي بين القرنين (6-7) هجريين

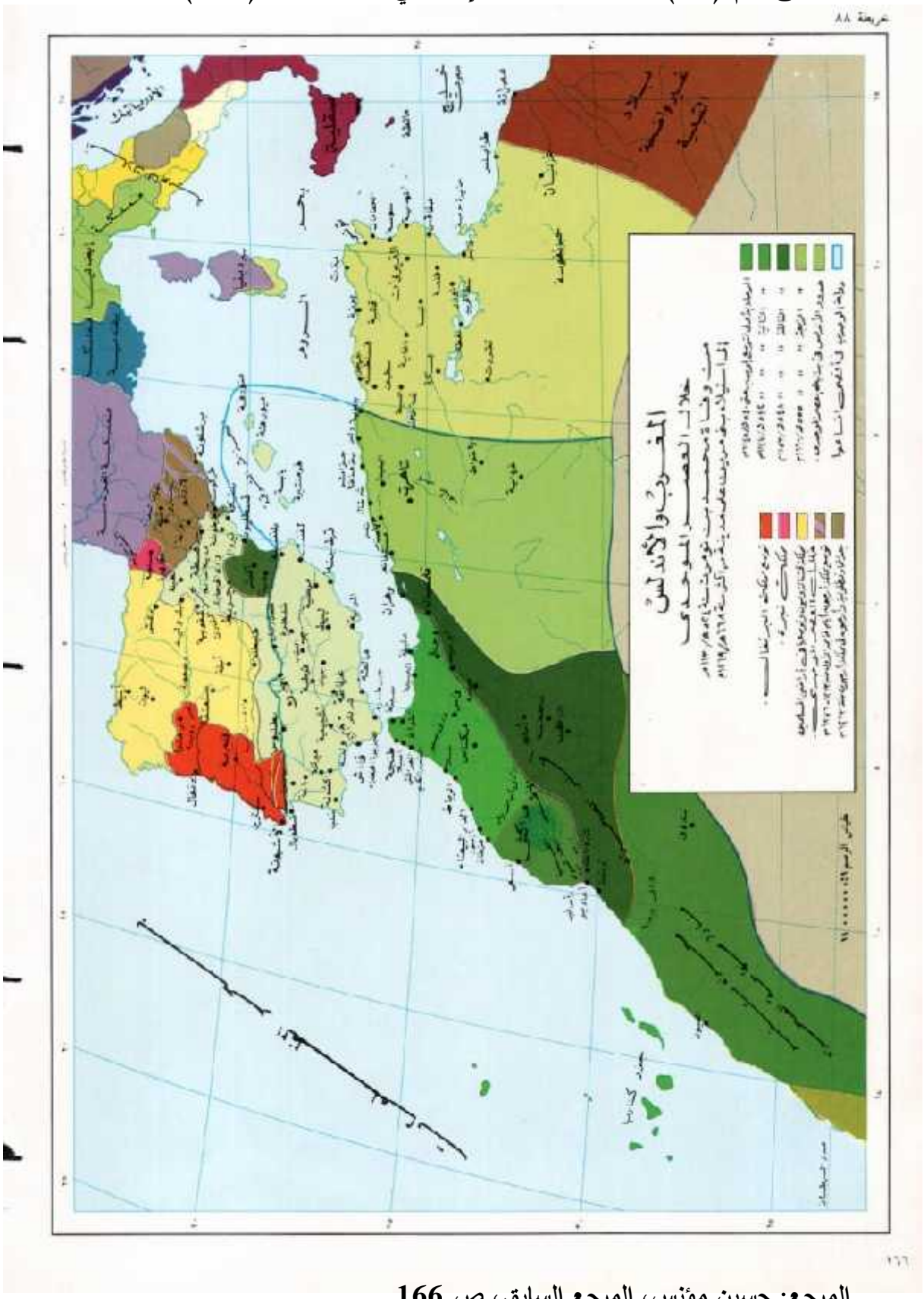

المرجع: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 166.

ملحق رقم (03): ثبت بأسماء بعض قضاة الظاهرية في عهد الموحدين

اسم القاضي	الوظيفة	المدينة	الحاكم	ملاحظات
عبد الله بن ظاهر الصقلي	قاضي الجماعة	مراكش	المنصور– الناصر	اول قاضي قضاة امر بتعيين قضاة ظاهريين في كل بلاد المغرب يحكمون بمحض الظاهرية
احمد بن يزيد بن عبد الرحمن بقي بن مخلد	قاضي الجماعة	مراكش–قرطبة	المنصور الناصر	حفيد الامام بقى بن مخلد الذي مدح ابن حزم كتبه ، ومنهجه
احمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمي القرطبي	قاضي ثم قاضي الجماعة	فاس – بجاية ثم مراكش	يوسف بن عبد المؤمن – المنصور	طبق الظاهرية في احكامه في الفقه ، وكذا في النحو حيث صنف كتابه " الرد على النحاة "
محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني	قاضي الجماعة	مراكش	المنصور – الناصر	

احمد بن عيد الرحيم بن محمد	قاضي الجماعة	مراكش		
ابو الحسن علي بن عبد الله بن يوسف بن خطاب المعافري	قاضي	اشبيلية		
ابو الخطاب ابن دحية الكلبي	قاضي	دانية	المنصور	
اسماعيل بن سعد السعود بن عفير	قاضي	مراكش		
عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي	قاضي	غرناطة وجزيرة شقر ومدينة وادش آش وجيان	المنصور	
محمد بن سماك العاملي	قاضي	مالقة	عبد المؤمن بن علي	
ابو سليمان بن حوط الله الغرناطي	قاضي	قربطة واشبيلية ومرسية وسبته وسلا وميورقة	المنصور – الناصر	اتخذه المنصور مربيا لاولاده ايضا . ليعلمهم المنهج الظاهري

المرجع: عبد الباقي سيد عبد الهادي، <u>الظاهرية والمالكية وأثرهما</u>، المرجع السابق، ص510-512.

الملحق رقم (04): صورة توضح ابن حزم الظاهري الاندلسي (ت 465هـ)

المرجع: عبد الباقي سيد عبد الهادي، تاريخ أهل الظاهر، المرجع السابق، ص 101.

الببليوغرافية

أولا: المصادر

1) القرآن الكريم

2) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت 389هـ/ 998م)، **الفهرست**، د ط، دار المعرفة، بيروت، د، س، ط.

3) ابن الآبار، ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت658هـ/1260م)، **التكملة لكتاب الصلة**، تح: إبراهيم الأبواري، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة ، بيروت، 1989م.

4) ـــــــــــ، ـــــــــــ، **الحلة السيراء**، تح، حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1985.

5) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت 403هـ/1012م)، **تاريخ علماء الأندلس**، مج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، تونس،2008 م.

6)ابن القطان، أبو محمد (ت ق 7هـ/13م)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، د ط، دار الغرب الإسلامي، د م ن، 1980 م.

7)ابن بشكوال، أبو القاسم خلف (ت 578هـ/1182م) ، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، تح: إبراهيم الأبواري، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1989م.

8)ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي (852هـ/1448م)، **لسان الميزان**، اع: عبد الفتاح أبو غدة، ط مكتبة المطبوعات الإسلامية، 3 د .م.ن.

9) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت 368هـ/879م)، **صورة الأرض**، د ط، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

10) ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمان بن محمد (ت808هـ/1406م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، اع: أبو صهيب الكرمي، د ط، بيت الأفكار الدولي، د.م .ن ، د.س.ط.

11) ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت 230هـ/845م)، **الطبقات**، تح: علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م.

12) ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/1286م)، **المغرب في حلى المغرب**، تح: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، د.س.ط.

13) ابن عذارى، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت 607هـ/1306م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج–س كولان، ليفي بروفانسال، د ط، دار الثقافة، بيروت، د.س.ط.

14) ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المدني المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تح : محمد الأحمدي أبو النور، د ط ، دار التراث، القاهرة، د، س، ط.

15) أبو إسحاق ابارهيم بن علي الشافعي (ت 476هـ/1083م)، **طبقات الفقهاء** ، تح: إحسان عباس، ط2، مؤسسة جواد للطباعة والتصوير، بيروت، 1981 م.

16) أبو العرب، محمد بن احمد بن عبد الله تميم التميمي (ت333هـ/944م)، **طبقات علماء افريقية وتونس**، تق وتح: علي الشأبو ونعيم حسن اليافي، ط2، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، الجزائر. 1985 م.

17) أبو يعلى، أبو الحسين محمد (ت 526هـ/1131م)، **طبقات الحنابلة**، ط1، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، د س ط.

18) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** ، تح: محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966 م.

19) البكري، أبو عبد الله (ت 487هـ/1095م)، **المغرب في ذكر إفريقية و المغرب**، د ط، مكتبة المثنى، بغداد، د.س .ط.

20) ابن أبو زرع، علي بن عبد الله بن احمد الفاسي (ت 726هـ/1326م)، **الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، د ط، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972 م.

21) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت 543هـ/1148م)، **العواصم من القواصم**، تح: محب الدين الخطيب، ط 6، مركز السنة، القاهرة.

22) ابن تومرت، المهدي محمد (ت524هـ/1129م)، **أعز ما يطلب**، تح: عمار طالب، د ط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

23) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 465هـ/1063م)، **المحلى في شرح المجلى بالحجج والآثار**، اعتنى: حسان عبد المنان، ط، بيت الأفكار الدولية، د م ن 2003م.

24) ـــــــ، ـــــــ، **الإحكام في أصول الأحكام**، ج 1، احمد محمد شاكر، د، ط، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، د، س،ط.

25) ـــــــ، ـــــــ، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تح : محمد إبراهيم نصر وآخرون ، ط 2 ، دار الجيل ، بيروت، 1996 م.

26) ـــــــ، ـــــــ، **النبذ، في أصول الفقه الظاهري** تح : محمد زاهد، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2010 م.

27) ـــــــ، ـــــــ، **جمهرة أنساب العرب**، تج: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، د.س. ط.

28) ـــــــ، ـــــــ، **ديوان الإمام ابن حزم الظاهري**، تج: صبحي رشاد، ط1، عبد الكريم، دار الصحابة للتراث، طنطا، 1990.

29) ـــــــ، ـــــــ، **رسائل ابن حزم الاندلسي**، تح، احسان عباس، ط 2، المؤسسة العربية، بيروت، 1987.

30) ـــــــــ،ـــــــــ، **ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتحليل**، تح: سعيد الأفغاني، د ط، مطبعة جامعة دمشق، 1960.

31) ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ/1406م)، **المقدمة**، ط 1، دار الفكر، بيروت 2004م.

32) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت 681هـ/1290م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح :إحسان عباس، د ط ، دار صادر، بيروت، 1977م.

33) التلمساني، أحمد بن المقري (ت 1041هـ/1650م)، نفح **الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، د ط، دار صادر، بيروت ،1968م.

34) الحموي، شهاب الدين ياقوت (ت 626هـ/1235م)، معجم الأدباء، تح: هشام عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

35) ـــــــــ،ـــــــــ، **معجم البلدان** ، د ط ، دار صادر ،بيروت ، د.س.ط.

36) الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت 488هـ/1095م) ، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط 1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م .

37) الحنبلي، أبو الفلاح شهاب الدين عبد الحي بن احمد بن العماد (ت1089هـ/1679م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ع: عبد القادر الارناؤوط وآخرون: ط 1، دار بن كثير بيروت 1988.

38) الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي (ت 463هـ/1071م)، **تاريخ بغداد**، د ط، دار الكتب العلمية بيروت، د .س .ط.

39) الدباغ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري (ت699هـ/1299م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح: محمد الأحمد أبو النور ومحمد ماضو، د ط، مكتبة الخانجي، المكتبة العتيقة، مصر، تونس، 1972م.

40) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1374م)، **تاريخ الإسلام** ووفيات المشاهير والاعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م.

41) ـــــــــ، ـــــــــ، **سير اعلام النبلاء**، تح: علي أبو زيد، ط 9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993.

42) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت771هـ/1369م) ، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج2 ، د ط، دار إحياء الكتب العربية، د . م .ن، د.س.ط.

43) السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ/1897م)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، د ط، د د ن، د م ن، د س ط.

44) الشريف محمد المنتصر بالله محمد الكتاني، **ابن حزم الظاهري**، تح : الشريف محمد حمزة الكتاني، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009.

45) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 584هـ/1153م)، **الملل والنحل**، تح: محمد سيد الكيلاني، د ط، دار المعرفة، بيروت، د، س، ط.

46) الضبي، أحمد بن يحي بن عميرة ت(599هـ/1202م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس**، تح: إبراهيم الأبواري، ط 1، الكتاب المصري، دار الكاتب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1989 م.

47) الغبريني، أبو العباس أحمد بن عبد الله (ت 714هـ/1314م)، **عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة من بجاية**، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979 م.

48) القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى بن عياض (ت 544هـ/1149م) ، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح: أحمد يكبر محمود، د ط، مكتبة الحياة، د.س.ط.

49) مالك بن أنس (ت 179هـ/795م)، **الموطأ**، تح: كامل محمد عويضة، ط1، مكتبة التقوى، الجزائر، 2001م.

50) مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح : سهيل زكار وآخرون، د ط، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979 م.

51) مجهول، **تاريخ الاندلس**، تح، عبد القادر بوباية، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

52) مخلوف،محمد بن محمد (ت941هـ/1551م)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تع: عبد المجيد خيالي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت ،2002 م.

53) المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ق 7هـ/ق 13م) ، **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**، تح: محمد السعيد العريان، د.ط، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة، 1963.

54) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله (ت 388هـ/998م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، د ط، دار صادر، بيروت، د س ط.

55) المقريزي، أبو العباس تقي الدين احمد علي (ت845هـ/1442م)، **أتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تح: محمد عبد القادر احمد عطاء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت2001.

56) الوزان، حسن بن محمد الفاسي (ت 961هـ/1554م)، وصف افريقيا، تر: محمد حجي محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

57) الونشريسي، بن يحي أبو العباس أحمد (ت301هـ/914م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقيا والاندلس والمغرب**، اشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، الرباط، بيروت، 1981م

ثانيا: المراجع

58) . سعد رستم، **الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات**، ط3، الأوائل للنشر، دمشق، 2005 م.

59) ابراهيم زكريا، **ابن حزم الأندلسي**، ط، الدار المصرية للتأليف، القاهرة.

60) أبو زهرة محمد: **تاريخ المذاهب الإسلامية**، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س.ط.

61) ــــــــــ، ــــــــــ، **ابن حزم حياته وعصره أرائه وفقهه**، د، ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978.

62) أبو صعيليك محمد عبد الله، **ابن حزم الظاهري إمام أهل الأندلس**، ط 1، دار القلم، دمشق، 1995 م.

63) أبو عبيد عارف خليل محمد، **الإمام داود الظاهري وأثره في الفقه الإسلامي**، ط 1، دار الأرقم، الكويت 1948 م.

64) أبو مصطفى كمال السيد، **دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، د.ط، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997م.

65) أحمد أمين ، **ظهر الإسلام**، د ط ، مؤسسة هنداوي، القاهرة ، 2012م.

66) الأشقر سليمان، **المدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية**، ط2، دار النفائس، الأردن 1998م.

67) بالنثيا آنخل جنثالت ، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر: حسين مؤنس، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.س.ط.

68) بروقنسال ليفي، **حضارة العرب العرب في الأندلس**، تر: دوقان قرقوط، د.ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.س.ط.

69) بروكلمان كارل، تاريخ **الأدب العربي**، ج 3، تر: عبد الحليم النجار، ط 3، دار المعارف، مصر، 1974م.

70) البغا مصطفى ديب، **أثر الأدلة المختلف فيها في الفقه الإسلامي**، د.ط، دار الإمام البخاري، دمشق، د.س.ط.

71) بك محمد الخضري: **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية**، مراجعة: نجوى عباس، ط 1، مؤسسة المختار، القاهرة 2003م.

72) بيشه فرد مصطفى جعفر، **الاجتهاد عند المذاهب الإسلامية** ، ط 1 ، مكتبة مؤمن قريش، بيروت ، 2011م .

73) جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ج2، تر: محمد مزالي وآخرون، د ط، الدار التونسية، تونس، 1978م.

74) حسان محمد حسان، **ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي**، ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د س ط.

75) حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، ط1، مكتبة الخانجي، مصر 1980.

76) الخادمي نور الدين ، **الدليل عند الظاهرية**، ط 1، دار ابن حزم، بيروت، 2000 م.

77) الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2015م.

78) عبد الباقي السيد عبد الهادي ، **تاريخ أهل الظاهر**، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2014 م.

79) ــــــــ،ــــــــ ، **الظاهرية والمالكية وأثرهما في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2014 م.

80) عبد المجيد محمود عبد المجيد، **الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث هجري**، د ط، دار العلوم، د . م . ن، 1979م.

81) العقاد عباس محمود ، **التفكير فريضة إسلامية**، د ط، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د. س. ط.

82) عويس عبد الحليم، **ابن حزم الأندلسي**، ط2، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1988.

83) الغلبزوري توفيق بن احمد الإدريسي، **المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس**، تق: محمد بن الأمير بوخبزة وآخرون، ط 1، دار ابن حزم، الرياض، 2006.

84) الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، **تاريخ المغرب والأندلس**، د.ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د.س.ط.

85) القطان مناع ، **تاريخ التشريع الإسلامي** ، ط 2 ، مكتبة المعارف ، الرياض ، 1996م.

86) المجدوب عبد العزيز، **الصراع المذهبي بإفريقية**، ط1 ، دار سحنون، دار ابن حزم، تونس، بيروت، 2008 م.

87) محمود احمد بكير، **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب**، ط 1، دار قتيبة، بيروت، 1990م.

88) وات مونتغمري، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، تر: رضا المصري، ط 2، مكتبة نرجس، بيروت ،1998م.

ثالثا: الموسوعات

89) الحفني عبد المنعم، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1993.

90) ضيف شوقي وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط 4 ، مكتبة الشروق، مصر، 2004م.

91) مؤنس حسين، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، زهران الاعلام، القاهرة، 1987،

92) ـــــــ،ـــــــ، **موسوعة تاريخ الأندلس**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996.

رابعا: الرسائل الجامعية

93) الثقفي محمد بن شديد بن شداد، **إلزامات ابن حزم الظاهري للفقهاء من خلال كتابه المحلي،** رسالة دكتوراه في الفقه الإسلامي، اشراف سعيد بن درويش الزهراني، قسم الشريعة، جامعة أن القرى، السعودية، 2001م.

94) سعد عبد السلام، **ابن حزم بين الفلاسفة والمتكلمين**، رسالة دكتوراه في الفلسفة، اشراف عليش لعموري، قسم الفسلفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009م.

خامسا: المجلات والدوريات

95) الجيلالي عبد الرحمان، **كيف رسخ المذهب المالكي في المغرب**، مجلة الموافقات، العدد3، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، 1994.

96) السامرائي عبد الحميد حسين أحمد، تأثير **الوضع السياسي على المذهب الظاهري**، ابن **حزم القرطبي نموذجا**، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العدد 2، جامعة تكريت، سامراء، 2009م.

97) عادل عبد العزيز غيث عبد الخالق، **الصراع المذهبي بين المالكية والظاهرية في الأندلس وموقف ملوك الطوائف حياله**، المجلة الليبية العالمية، العدد 2، جامعة بنغازي، ليبيا، 2015 م.

فهرس

الموضوعات

العنوان	الصفحة
المقدمة	02
المدخل المذاهب الفقهية السنية المنتشرة بالغرب الإسلامي قبل ظهور المذهب الظاهري	
1- المذهب الثوري	11
2- المذهب الأوزاعي	12
3- المذهب الحنفي	13
4- المذهب المالكي	16
5- المذهب الشافعي	20
6- المذهب الحنبلي	21
الفصل الأول نشأة المذهب الظاهري وانتقاله للغرب الإسلامي	
أولا: ترجمة الإمام داود الظاهري	25
ثانيا: أصول المذهب الظاهري وخصائصه	34
ثالثا: انتشار المذهب الظاهري	38
رابعا: تراجع المذهب الظاهري بالمشرق وانتقاله للمغرب والأندلس	44
الفصل الثاني إحياء وتطور المذهب الظاهري بالغرب الإسلامي	
أولا: ترجمة الإمام ابن حزم	52
ثانيا: أصول المدرسة الظاهرية الحزمية وخصائصها	66
ثانيا: انتشار المذهب الظاهري في الغرب الاسلامي	73
الفصل الثالث أثر المذهب الظاهري ببلاد المغرب الإسلامي وانحساره	
أولا: أثر المذهب الظاهري	81

ثانيا: انحسار المذهب الظاهري	100
الخاتمة	105
الملاحق	109
البيبليوغرافية	115
فهرس الموضوعات	126

الملخص:

تحاول هذه الدراسة تناول موضوع: المذهب الظاهري في بلاد الغرب الإسلامي بين القرنين (4-7 هـ/ 10-13م).

تناولت هذه الدراسة المذاهب الفقهية السنية المنتشرة بالغرب الإسلامي قبل ظهور المذهب الظاهري كالمذهب الثوري، والاوزاعي، الحنفي، المالكي، الشافعي والحنبلي.

وقد عالجت هذه الدراسة نشأة المذهب الظاهري وانتقاله للغرب الإسلامي فقد تطرقن الدراسة الى التحدث عن جذور المذهب الظاهري وترجمة شاملة لمؤسس المذهب وهو الإمام داود الظاهري إضافة الى التطرق لأصول المذهب الظاهري وانتشاره بالمشرق وانتقاله لمنطقة الغرب الإسلامي.

تم التطرق الى تطور المذهب الظاهري بالغرب الإسلامي بداية بالتعريف بمجدد المذهب الامام ابن حزم الظاهري ثم التحدث عن أصول الدراسة الحزمية، وثم تناولت الدراسة انتشار المذهب الظاهري بالغرب الإسلامي في عهد ابن حزم وبعده، بداية بابن حزم وانتقالا لدولة الموحدين.

وتناولت الدراسة بالتحليل أثر المذهب الظاهري بالمغرب الاسلامي وانحساره فقد تطرقت الى أثره في الجانب السياسي من خلال ظاهرية دولة الموحدين، ثم التحدث عن الأثر في الحياة العلمية، ثم الحديث عن انحسار المذهب الظاهري وأسباب تراجعه بالمغرب الإسلامي مع نهاية الموحدين ومن أهم هذه الأسباب: تجذر المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي.

الكلمات المفتاحية:

المذهب الظاهري- الغرب الإسلامي- ابن حزم الظاهري- دولة الموحدين.

Résumé:

Cette étude tente d'aborder la question de: la doctrine virtuelle dans les pays islamiques occidentaux entre les deux siècles (4-7 AH / 10-13M.(

Cette étude des écoles sunnites de jurisprudence islamique dispersés Occident musulman traité avant l'avènement de la doctrine révolutionnaire virtuelle Kalmzhb et Awzai, Hanafi, Maliki, Shafi'i et Hanbali.

Cette étude a abordé l'émergence de la doctrine islamique virtuelle et de passer à l'Ouest a l'étude Ttrguen parler des racines de la doctrine virtuelle et la traduction complète du fondateur d'un imam Dawood virtuel ajouté à l'actif de la doctrine virtuelle et la propagation Palmcherq et le déplacement dans la région pour répondre à l'Occident musulman.

Il a abordé l'évolution de la doctrine virtuelle de l'Occident musulman au début de la définition doctrine Bmojadd de l'Imam Ibn Hazm virtuel, puis parler des origines de l'étude fasciatus, puis l'étude portait sur la diffusion de la doctrine islamique virtuelle de l'Occident à l'époque d'Ibn Hazm et après le début des paquets fils et de transition à l'état unitaire.

L'étude analyse l'impact de la doctrine virtuelle du Maghreb islamique et inverse, il a abordé l'impact sur le plan politique par un état virtuel uniforme, puis parler de l'impact de la vie scientifique, puis parler du déclin de la doctrine virtuelle et les raisons de son déclin du Maroc islamique, avec la fin de la unitarienne et le plus important de ces raisons: la profondeur de la doctrine Maliki au Maghreb Islamique.

les mots clés:

La Doctrine Virtuelle - L'Occident Islamique - Ibn Hazm Al Dhahiri - L'Etat Unifié.